المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

علاقات التناسب بين المغالطة وتصويبها في رسالتي سيدنا معاوية وسيدنا علي من الكامل للمبرد

دراسة بلاغية تحليلية لروابطها اللفظية

Relationships of proportionality between the fallacy and its correction in my thesis, Our master Muawiya and our master Ali from the complete cooler, An analytical rhetorical study of its verbal links

بقلم الدكتورة

نجلاء محمود حسين أحمد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية البنات الإسلامية بأسيوط ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

الجزء الثالث (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

علاقات التناسب بين المغالطة وتصويبها في رسالتي سيدنا معاوية وسيدنا علي من الكامل للمبرد دراسة بلاغية تحليلية لروابطها اللفظية

نجلاء محمود حسين أحمد

قسم البلاغة والنقد في كلية البنات الإسلامية بأسيوط ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : drng.mh@gmail.com

الملخص

هدف البحث إلى بيان أساليب التناسب بين المغالطة وتصويبها في الرسالتين المتبادلتين بين سيدنا معاوية وسيدنا علي في كتاب الكامل للمبرد.

ومن هنا قام البحث في تقسيمه على تتبع أساليب المغالطة وتصويبها في الرسالتين ، و تحليل هذه الأساليب ، وتوضيحها ؛ ولذا اشتمل البحث على أربعة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد ويعقبها خاتمة وفهرس لمصادر البحث ، وقد جاءت المباحث كالتالي:

المبحث الأول:علاقتا المذهب الكلامي والأسلوب الحكيم بين المغالطة وتصويبها

المبحث الثاني : علاقة الإسناد بين المغالطة وتصويبها

المبحث الثالث : علاقة القياس التمثيلي بين المغالطة وتصويبها

المبحث الرابع : علاقة الوصف بين المغالطة وتصويبها

وخلص البحث إلى أنه تنوعت أساليب المغالطة في رسالة سيدنا معاوية ، وكلها اعتمدت على التراكيب القوية ، والبناء المتلائم الأجزاء.

كما جاءت أساليب تصويب المغالطة في رسالة سيدنا علي مناسبة لتلك الأساليب ومفندة لها ، فلم يترك سيدنا علي شاردة ولا واردة في أساليب المغالطة الواردة في رسالة سيدنا معاوية إلا رد عليها وصوبها التصويب الذي يقيم الحجة على الخصم ، ويعجزه عن الرد.

ولذا تحققت ضروب التناسب بين أجزاء الرسالتين مما حقق الترابط بين الرسالتين ، كما تحقق التناسب بين أجزاء كل رسالة على حدة.

الكلمات المفتاحية: الأساليب، التناسب ، المغالطة ، معاوية ، علي ، الكامل ، المبرد.

Relationships of proportionality between the fallacy and its correction in the two letters of our master Muawiyah and our master Ali

It is complete for the file an analytical rhetorical study of its verbal links

Naglaa Mahmoud Hussein Ahmed

Department of Rhetoric and Criticism at the Islamic Girls College in Assiut, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.

Email: drng.mh@gmail.com

Abstract

The aim of the research is to show the proportionality between the fallacy and correct it in the two exchanged letters between our master Muawiyah and our master Ali in the book Al-Kamil by Al-Mubarrad.

Hence the research in its division tracked the methods of fallacy , corrected them in the two messages, clarifying these methods and analyzed them , The research therefore includes four topics preceded by an introduction and a preface followed by a conclusion and a schedule of the research sources. The topics as follow:

The first topic: the relationship of the verbal reasoning and the wise method between the fallacy and its correction

The second topic: the relationship of attribution between the fallacy and its correction

The third topic: the relationship of representative measurement between the fallacy and its correction

The fourth topic: the description relationship between the fallacy and its correction

The research concluded that the methods of fallacy varied in the message of our master Muawiya, and all of them relied on strong structures, and the appropriate construction of parts.

The methods of correcting the fallacy in the message of our master Ali were suitable for these methods and refuted them. Our master Ali did not leave any ins and outs in the methods of fallacy contained in the message of our master Muawiyah without responding to it and correcting it with the correction that establishes the argument against the opponent, and makes him unable to respond.

Therefore, the forms of proportionality were achieved between the parts of the two messages, which achieved the interdependence between the two messages, as well as the proportionality between the parts of each message separately

Keywords: Methods, Proportionality, Fallacy, Muawiya, Ali, Al-Kamil, Al-Mubard.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله و أصحابه الغر الميامين صلاة دائمة إلى يوم الدين .

وبعد:

فإن المغالطة من الأساليب الكلامية المبنية على تراكيب بلاغية مؤسسة على علاقات معنوية والتي تكثر في الكلام لا سيما بين الخصوم ؛ حيث يريد كل خصم إثبات كلامه وإقناع مخاطبه به ، ومن هنا قد يلجأ إلى طرق خاصة في كلامه تمكنه من التلاعب بخصمه واستدراجه شيئًا فشيئًا عن طريق قلب الحقائق ، ووضع الشيء في غير موضعه ، للتأثير في نفس المتلقي ، كما تمكن المتكلم من إخفاء مراده، حتى يصير القول غير المقبول مقبولًا ومقنعًا له ، ومن ثم كان الكشف عن وجه المغالطة وتصويبها في الرد عليها مكملًا لها في الدرس البلاغي.

والرسائل المتبادلة بين سيدنا علي وسيدنا معاوية – رضي الله عنهما – في وقت المشاجرة بينهما غنية بالأساليب البلاغية القائمة على المحاورة والمراجعة، والتي تحوي الرأي والرأي الآخر ، ولذا تشتمل على أساليب نفي الحق وإثباته بالأغاليط وقلب الحقائق تارة ، وبالأدلة والبراهين العقلية تارة أخرى، كما تشتمل على بيان وجه الحق والكشف عن مناطق الزيغ في الكلام بأساليب عالية .

ولذا اخترت أن يكون موضوع بحثي:

التناسب بين المغالطة وتصويبها في رسالتي سيدنا معاويــة وســيدنا علي من الكامل للمبرد [1] دراسة بلاغية تحليلية لروابطها اللفظية

(١) المبرد هو: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم، وهو ثمالة، بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن النضر بن الأسد بن الغوث، وقال ابن الكلبي :عوف بن أسلم هو ثمالة والأسد هو الأزد، الثمالي الأزدي البصري المعروف بالمبرد النحوي؛ نزل بغداد، وكان إمامًا في النحو واللغة، وله التواليف النافعة في الأدب: منها كتاب الكامل وكتاب الروضة والمقتضب وغير ذلك. أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني ، وأخذ عنه نفطويه وغيره من الأئمة .... وَكَانَ إِمَامًا، علامة، جميلًا، وسيمًا، فصيحًا، مفوهًا، موثقًا صَاحِب نَوَادِر وَطُرَفٍ.

- وكان المبرّد ، وأبو العبّاس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب، صاحب كتاب الفصيح عالمين متعاصرين، قد ختم بهما تاريخ الأدباء.
- وكانت ولادة المبرد يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشر ومائتين، وقيل سنة سبع ومائتين . وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وقيل ذي القعدة، سنة ست وثمانين، وقيل خمس وثمانين ومائتين ببغداد، ودفن في مقابر باب الكوفة في دار اشتريت له، وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي، رحمه الله تعالى .
- ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ص٣١٧: ٣١٩ المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس ـ الناشر: دار صادر ـ بيروت الجزء: ٤ ـ الطبعة: ١، ١٩٧١
- وينظر: سير أعلام النبلاء ج١٠ ص ٥٤٥ المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الحديث- القاهرة ـ الطبعة: ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م
- وينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٣ ص ٣٥٦ المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرناؤوط ـ خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ـ الناشر: دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م
- أما كتاب الكامل لأبي العباس المبرد فهو يحتوي على ألوان من الثقافة وأبواب من الأدب واللغة، وهو أشبه بكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وقدم فيه صورًا من الرسائل النثرية التي ارتقت صناعتها في تلك العصور، جاء في مقدمته" : هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبًا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة ."ومع أنّ الكامل في الأصل كتاب لغة فإنّ المبرد تعرض فيه عند شرح النصوص الأدبية لبعض موضوعات البيان مثل المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه. ينظر: فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه ج١ص٤٠ المؤلف : محمد صالح الشنطي ـ الناشر : دار الأندلس للنشر والتوزيع ـ السعودية / حائل الطبعة : الخامسة ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م .وينظر: علم البيان ج١ ص١٢ المؤلف: عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان الطبعة: بدون ـ عام النشر: ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٢ م .
- وينظر : تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ص٩ المؤلف: أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المعارف .

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع إلى عدة أمور منها :

١ ــ إبراز مدى تأثير الأساليب البلاغية في تصحيح المفاهيم المغلوطة في الواقع المعاصر ومن ثم الاستفادة منها في تصحيح الخطاب.

٢ ــ تعليم لكيفية الفكر والفكر المضاد من خلال الأساليب البلاغية العالية .

٣ ــ الاهتمام بأساس البلاغة في العناية بالعلاقات المعنوية ، وكيف أثرت في التشكيل والصياغة للأساليب من خلال المعاني المتضادة .

أما عن منهجي في البحث :

فقد اتبعت المنهج التحليلي ، وذلك بتتبع أساليب المغالطة وتصويبها في الرسالتين ، وتحليل هذه الأساليب ، وتوضيحها ، ومن ثم فقد اشتمل هذا البحث على أربعة مباحث ومقدمة وتمهيد ، ويعقبها خاتمة وفهرس لمصادر البحث وقد جاء كالآتي :

المقدمة : تكلمت فيها عن أهمية الموضوع ومن ثم أسباب اختياري له ، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد : وجاء على ثلاثة محاور :

المحور الأول : بعنوان **ضابط التناسب وعلاقاته**

المحور الثاني: بعنوان **المغالطة بين الضابط والأسس**

المحور الثالث: بعنوان **الخصائص الكلية للرسائل المتبادلة بين سيدنا على وسيدنا معاوية**

المبحث الأول : بعنوان **علاقتا المذهب الكلامي والأسلوب الحكيم بين المغالطة وتصويبها**

المبحث الثاني : بعنوان **علاقة الإسناد بين المغالطة وتصويبها**

المبحث الثالث : بعنوان **علاقة القياس التمثيلي بين المغالطة وتصويبها**

المبحث الرابع : بعنوان **علاقة الوصف بين المغالطة وتصويبها**

الخاتمة : وتناولت فيها نتائج البحث والتوصيات .

وأخيراً فهرس المصادر والمراجع

هذا والله الموفق والمستعان .

التمهيد

١- ضابط التناسب وعلاقاته

تدور مادة (ن. س. ب) في اللغة حول المقاربة والملاءمة والمشاكلة جاء في لسان العرب : " فلان يناسب فلانًا فهو نسيبه أي قريبه ... وتقول : ليس بينهما مناسبة أي : مشاكلة. (١)

والملاءمة من "اللَّأْم : الاتفاقُ: وَقَدْ تَلَاءَمَ القومُ والْتَأَمُوا: اجْتَمَعُوا واتَّفقوا. وتَلاءَمَ الشَّيْئَانِ إذا اجْتَمَعَا وَاتَّصَلَا. ... وَهَذَا طعامٌ يُلائِمُنِي أَي يُوَافِقُنِي... وإذا اتَّفق الشَّيْئَانِ فَقَدِ التَأَمَا"(٢)

والمشاكلة من الشكل و " الشَّكْل: المِثْل... وَهَذَا أَشْكَلُ بِهَذَا أَي أَشْبَه. والمُشَاكَلَة: المُوافَقة"(٣)

فالتناسب يعني الموافقة والتماثل والتشابه والتناسق حتى يكون الكلام كالنسج الواحد الذي لا تختلف خيوطه.

وهناك صلة وثيقة بن البلاغة ومعرفة تحقق التناسب ؛ إذ بها يتوصل إلى معرفة ذلك، قال القرطاجني: " ومعرفة طرق التناسب .. لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك ، وهو علم البلاغة ، الذى تندرج تحت تفاصيل كلياته ضروب التناسب والوضع ، فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبارات " (٤)

---

(١) لسان العرب ج١ ص ٧٥٥ المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ــ الناشر : دار صادر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى .

(٢) ينظر: لسان العرب ج١٢ ص٥٣١.

(٣) ينظر: لسان العرب ج١١ ص ٣٥٧.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص٢٢٦ لأبي حازم القرطاجني توفى (٦٨٤هـ) تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ــ دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان.

والتناسب سمة من سمات الجمال في الكلام وفي غيره فـ" الجمال هو التناسب بين أجزاء الهيئات المركبة سواء أكان ذلك في الماديات أم في المعقولات، وفي الحقائق أم الخيالات.

ما كان الوجه الجميل جميلًا إلا للتناسب بين أجزائه، وما كان الصوت الجميل جميلًا إلا للتناسب بين نغماته، ولولا التناسب بين حبات العقد ما افتتنت به الحسناء، ولولا التناسق في أزهار الروض ما هامت به الشعراء.

ليس للتناسب قاعدة مطردة يستطيع الكاتب أن يبينها، فالتناسب في المرئيات غيره في المسموعات، وفي الرسوم غيره في الخطوط، وفي الشئون العلمية غيره في القصائد الشعرية، على أنه لا حاجة إلى بيانه ما دامت الأذواق السليمة تدرك بفطرتها ما يلائمها فترتاح إليه وما لا يلائمها فتنفر منه"[1].

فالنفس ترتاح وتطمئن لهذا التلاؤم والتناسب ، فهذا التناسب وذلك التلاؤم يجعل الكلام متناغمًا والقرطاجني بعد أن تكلم عن تأليف الألفاظ واقترانات المعاني، وما يستحسن من ضروب الصيغ والهيئات المستحسنة قال:

"وللنفس بما وقع به من ذلك تشاكل في الكلام ابتهاج لأن تلك الصيغ تنميقات الكلام وتزيينات له. فهي تجرى من الأسماع مجرى الوشي في البرود والتفصيل في العقود من الأبصار"[2]

وللتناسب فائدة عظيمة في الكلام يفطن إليها صاحب الذوق السليم "وتظهر فائدته الكلية في جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض،

---

(١) النظرات ج١ ص١٨٩ المؤلف: مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المَنْفَلُوطي (المتوفى: ١٣٤٣هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص٢٩.

فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حالته حال البنـــاء المحكـــم المـــتلائم الأجزاء"[١]

وتعلق الكلام بعضه ببعض يكون بتلاحم أجزائه لوجود العلاقات بـــين الكلم على وجه من الوجوه، وقد تكلم الإمام عبد القاهر عن فضيلة وجـــود العلاقات والملائمة بين الكلم فصرح بأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، وما أشبهَ ذلك، مما لا تَعلُّقَ له بصريحِ اللفظ [٢]

كما بين أن الذي يلائم بين الكلم وينظر إلى العلاقة بين أجزائه، فيجعله كالنسج الواحد كمن يأخذ قطعًا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصبح قطعة واحدة فقال :" واعلمْ أنَّ مَثَلَ واضعِ الكلام مثَلُ مَنْ يأخـــذ قطعًا من الذهب أو الفضةِ فيُذيبُ بعضَها في بعضٍ حتى تَصير قطعةً واحـــدةً ...فإنكَ تَحصُل من مجموعِ هذهِ الكَلِم كلِّها على مفهومٍ، هو معنًى واحـــدٌ لا عدَّةُ معانٍ، كما يتوهَّمُه الناسُ. وذلَك لأنك لم تَأْتِ بهذه الكَلِمِ لتُفيدَهُ أنْفُـــسَ معانيها، وإنما جئتَ بها لتُفيدَه وجوهَ التعلُّق"[٣]

و سيتضح من خلال البحث بمشيئة الله تعالى وجوه التعلق بين أجزاء الكلام؛ مما حقق ضروب التناسب بين أجزاء الرسالتين ، كما حقق التناسب بين أجزاء كل رسالة على حدة.

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ج١ ص ٤٣ – ٤٤ ــ المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـــ) دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

(٢) ينظر دلائل الإعجاز ص ٤٦ المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبـــد الـــرحمن بـــن محمـــد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـــ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر ــ الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ــ الطبعـــة: الثالثـــة ١٤١٣هـــ – ١٩٩٢م .

(٣) ينظر: الدلائل ص٤١٢-٤١٣

٢- المغالطة بين الضابط والأسس

الغَلَطُ: أَن تَعْيا بِالشَّيْءِ فَلَا تَعْرِفَ وَجْهَ الصَّوَابِ فِيهِ، وَقَدْ غَلِطَ فِي الأَمر يَغْلَطُ غَلَطاً وأَغْلَطَه غَيْرُهُ ، والْعَرَبُ تَقُولُ: غَلِطَ فِي مَنْطِقِه، وغَلِتَ فِي الحِساب غَلَطاً وغَلَتاً... والمَغْلَطةُ والأُغْلُوطةُ: الْكَلَامُ الَّذِي يُغْلَطُ فِيهِ ويُغالَطُ بِهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : حَدَّثْتُه حَدِيثًا لَيْسَ بالأَغاليطِ [١]

الْفرق بين الخطأ والغلط :

أَن الْغَلَط هُوَ وضع الشَّيْء فِي غير مَوْضِعه وَيجوز أَن يكون صَوَابًا فِي نَفسه وَالْخَطَأ لَا يكون صَوَابًا على وَجه. مِثَال ذَلِك أَن سَائِلًا لَو سَأَلَ عَن دَلِيل حَدِيث الْأَعرَاض فَأُجِيب بِأَنَّهَا لَا تَخْلُو من المتعاقبات وَلم يُوجد قبلهَا كَانَ ذَلِك خطأ لِأَن الْأَعْرَاض لَا يَصح ذَلِك فِيهَا وَلَو أُجِيب بِأَنَّهَا على ضَرْبَيْنِ مِنْهَا مَا يبْقى وَمِنْهَا مَا لَا يبقى كَانَ ذَلِك غَلَطًا لم يكن خطأ لِأَن الْأَعْرَاض هَذِه صفتهَا إِلَّا أَنَّك قد وضعت هَذَا الْوَصْف لَهَا فِي غير مَوْضِعه وَلَو كَانَ خطأ لَكَانَ الْأَعْرَاض لم تكن هَذِه حَالهَا لِأَن الْخَطَأ مَا كَانَ الصَّوَاب خِلَافه وَلَيْسَ الْغَلَط مَا يكون الصَّوَاب خِلَافه بل هُوَ وضع الشَّيْء فِي غير مَوْضِعه. قَالَ بَعضهم الْغَلَط أَن يسهى عَن تَرْتِيب الشَّيْء وإحكامه وَالْخَطَأ أَن يسهى عَن فعله أَو أَن يوقعه من غير قصد لَهُ وَلَكِن لغيره[٢]

---

(١) ينظر: لسان العرب ج٧ ص ٣٦٣

(٢) الفروق اللغوية ج١ ص٥٥المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ــ الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر .

أما المغالطة اصطلاحًا فعرفها ابن الأثير بقوله :" المغالطة هي التي تطلق ويراد بها شيئان: أحدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك الوضعي، والآخر دلالة اللفظ على المعنى ونقيضه" (١)

الإمام عبد القاهر الجرجاني أطلق لفظ المغالطة على الأسلوب الحكيم(٢)

والعلوي عدها الضرب الأول من التورية فقال عند تعريف الضرب الأول من التورية " اعلم أن المغالطة المعنوية هي أن تكون اللفظة الواحدة دالة على معنيين على جهة الاشتراك فيكونان مرادين بالنية دون اللفظ "(٣)

وفرق العلوي بين المغالطة والإلغاز بقوله " والتفرقة بين المغالطة والإلغاز هو أن المغالطة كما ذكرناه إنما تكون بالألفاظ المشتركة وهى دالة على أحدهما على جهة البدلية وضعًا، وقد يرادان جميعًا بالقصد والنية، بخلاف الإلغاز، فإنه ليس دالًا على معنيين بطريق الاشتراك ولكنه دال على معنى من جهة لفظه وعلى المعنى الآخر من جهة الحدس لا بطريق اللفظ "(٤)

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج٢ ص٢١٢ المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ـ الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ عام النشر: ١٤٢٠ هـ.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز ج ١ ص ١٣٨ .

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ج٣ ص٣٦ المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ) الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(٤) الطراز ج٣ ص٣٦.

فالمغالطة تكون بالمخادعة والمداهنة حتى يصير القول الكاذب مقنعًا للمتلقي "وإنما يصير القول الكاذب مقنعًا وموهمًا أنه حق بتمويهات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له. وتلك التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتذائها"[١]

فمن خلال هذا الكلام يمكن القول بأن الذي يأتي بالمغالطة يريد قلب الحقائق وتزييفها موهمًا المتلقي أنه على صواب ؛ ومن ثم يدرس الموقف جيدًا ليستطيع المراوغة ، وقد يأتي بجزء من الحقيقة ، أو بشيء واقعي ويبني عليه الأكاذيب ، في محاولة منه لتثبيت فكرته ، وإقناع المتلقي بما يقول...

وهذا ما سيتضح من خلال البحث.

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص١٩.

٣- الخصائص الكلية للرسائل المتبادلة بين سيدنا على وسيدنا معاوية.

تعريف الرسالة:

مادة (الراء والسين واللام) تحمل معنى الرفق والتؤدة والسلاسة والاسْتِئْنَاسِ والطمأْنينة والتَّوقُّر والتفهمُ وَالتَّرَفُّقُ .

والإرْسَال: التَّوْجِيهُ، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلِيه، وَالاسْمُ الرِّسَالَة والرَّسَالَة والرَّسُول والرَّسِيل... والرَّسول : اسْمٌ مِنْ أَرْسَلْتُ وكَذَلِكَ الرِّسَالة.(١)

يفهم من معاني الرسالة أنها ينبغي أن تجمع هذه الصفات.

والرسالة هي: "المكاتبة وتعرف أيضًا بالمراسلة وهي مخاطبة الغائب بلسان القلم وفائدتها أوسع من أن تحصر من حيث أنها ترجمان الجنان ونائب الغائب في قضاء أوطاره ورباط الوداد مع تباعد البلاد، وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما. وخواصها خمس: السذاجة، والجلاء، والإيجاز، والملأعمة، والطلاوة"(٢)

وفي الرسائل يجب مراعاة الحال وأقدار المرسل إليهم ، وطبقاتهم ، وقوتهم في المنطق كما قال أبو هلال العسكري: " فأوّل ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك : مكاتبة كلّ فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوّتهم في المنطق"(٣)

---

(١) ينظر : لسان العرب ج١١ ص١٨١-١٨٣.

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ج١ ص٤٤ المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين ــ الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت.

(٣) كتاب الصناعتين ص١٥٤المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ــ الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ــ عام النشر١٤١٩هـ .

وقد جرت بين سيدنا علي وسيدنا معاوية الكثير من الرسائل التي كان لها خصائصها التي تميزها عن غيرها من المكاتبات والرسائل في ذلك العصر . فمن خلال القراءة لتلك الرسائل تبين:

من خصائصها :

١- أنها قائمة على أساليب نفي الحق وإثبات الحق، كما تتنوع تراكيبها تبعًا لتنوع المعاني.

٢- اعتمادها على الإقناع العقلي للرأي والرأي الآخر ، فعنصر الإقناع أساسي فيها، وذلك بتوفير الأدلة والبراهين حتى يسلم الآخر للرأي والاعتقاد.

٣- كما أنها تعتمد على التمويهات واستمالة الآخر واستدراجه والتأثير في نفسه ، بما يضمن تسليمه بل وإسكاته.

" والتمويهات تكون في ما يرجع على الأقوال. والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه، أو باطبائه إياه لنفسه وإحراجه على خصمه حتى يصير بذلك كلامه مقبولًا ... وكلام خصمه غير مقبول"(١)

وهذا ما سيتضح من خلال الرسالتين المتبادلتين بين سيدنا معاوية وسيدنا علي ، ونص الرسالتين :

رسالة سيدنا معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم، من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب: أما بعد: فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولكنك أغريت

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص٦٤.

بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كان شورى بين المسلمين. ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير؛ لأنهما بايعاك ولم أبايعك. وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة؛ لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام، وأما شرفك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وموضعك من قريش فلست أدفعه. ثم كتب في كتاب إليه في آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل، وهو:

أرى الشأم تكره ملك العراق	وأهل العراق لهم كارهينا
وكلا لصاحبه مبغضاً	يرى كل ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم	ودناهم مثل ما يقرضونا
فقالوا: علي إمامٌ لنا	فقلنا :رضينا ابن هند رضينا
وقالوا: نرى أن تدينوا له	فقلنا :ألا لا نرى أن ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد	وضربٌ وطعنٌ يقر العيونا

جواب علي بن أبي طالب لمعاوية

فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جواب هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر، أما بعد : فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصرٌ يهديه، ولا قائدٌ يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده فاتبعه، زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان. ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما

أوردوا، وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله لـيجمعهم علـى ضـلال، ولا ليضربهم بالعمى.

وبعد، فما أنت وعثمان إنما أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه، فإن زعمت أنك أقوى على ذلـك، فادخـل فيمـا دخـل فيـه المسلمون، ثم حاكم القوم إلي. وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة، فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سـواءٌ؛ لأنهـا بيعـةٌ شاملة، لا يستثنى فيها الخيار، ولا يستأنف فيها النظر. وأمـا شـرفي فـي الإسلام، وقرابتي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، وموضـعي مـن قريش، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته."[1]

(١) الكامل في اللغة والأدب ج١ ص ٢٥٨وص ٢٦١ المؤلف: محمد بن يزيـد المبـرد، أبـو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

المبحث الأول

علاقتا المذهب الكلامي والأسلوب الحكيم بين المغالطة وتصويبها

المغالطة بالمذهب الكلامي تكون بأن يقدم المتكلم أولا حجة سليمة ودليلا منطقيا واقعيا ، ثم يرتب على هذه المقدمة وتلك الحجة نتيجة مرتبطة بها، في محاولة منه لإقناع المتلقي بكلامه وتثبيت فكرته ، وهذا نوع من أنواع المذهب الكلامي الذي قيل في تعريفه:" أنه عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه؛ لأنه مأخوذ من علم الكلام الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية وهو الذي نسبت تسميته إلى الجاحظ... ومن هذا الباب نوع منطقي، وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين"(١)

كما قيل في تعريفه أيضا " هو إيراد حجة على المطلوب على طريقة أهل المنطق، وهي أن تكون المقدمات مستلزمة للمطلوب"(٢)

والمغالطة بالأسلوب الحكيم الذي أطلق عليه الإمام عبد القاهر المغالطة كما مر ، والأسلوب الحكيم وهو : تلقي المخاطب بغير ما يترقب... أو السائل بغير ما يتطلب(٣)

---

(١) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ص١٩ المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى:٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف ــ الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي .

(٢) البديع في البديع ص٣١ المؤلف: أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ) الناشر: دار الجيل ــ الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

(٣) مفتاح العلوم ص٣٢٧ المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى:٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ــ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ــ الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧.

فالأسلوب الحكيم نوع من أنواع خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وهو من الحيل التي يلجأ إليها المتكلم بقصد المراوغة والمخادعة للمتلقي ، ولذا استحق أن يطلق عليه الإمام عبد القاهر لفظ المغالطة.

والأسلوب الحكيم فيه استدراج للمتلقي ، وتدور مادة (د.ر.ج) حول ثلاثة معان الخداع والتقريب والاستتباع

" اسْتَدْرَجَهُ: خَدَعَهُ وأَدْنَاهُ ، واستدرجت الناقة ولدها : اسْتَتْبَعَتْ ولَدَها بعدَ ما أَلْقَتْهُ من بَطْنِهَا. واسْتِدْرَاجُ اللَّهِ تعالى العَبْدَ: أنه كُلَّما جَدَّدَ خَطِيئَةً جَدَّدَ لَهُ نِعْمَةً، وأَنْساهُ الاسْتِغْفَارَ، أو أنْ يأخذَه قليلاً قليلاً، ولا يُباغِتَهُ."(١) "روي عن أبي الهيثم: امتنع فلان من كذا وكذا حتى أتاه فلان فاستدرجه أي خدعه حتى حمله على أن درج في ذلك." (٢)

وعرفه العلوي بقوله : " الاستدراج ، استفعال من قولهم استدرجته إلى كذا إذا أنزلته درجة درجة حتى تستدعيه إليك وينقاد لما قلته ، قال تعالى: (سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) (٣)

والاستدراج" هو ما يكون موضوعًا لتقريب المخاطب والتلطف به والاحتيال عليه بالإذعان إلى المقصود منه ومساعدته له بالقول الرقيق والعبارة الرشيقة ، كما يحتال على خصمه عند الجدال والمناظرة بأنواع الإلزامات ، والانتماء إليه بفنون الإفحامات ، ليكون مسرعًا إلى قبول

(١) القاموس المحيط ج ١ص ١٨٨ المؤلف : العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ ــ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ــ الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ــ الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

(٢) لسان العرب ج ٢ ص٢٦٨

(٣) الأعراف من الآية ١٨٢

المسألة والعمل عليها ، وكمن يتلطف في اقتناص الصيد فإنه يعمل في الحبالة كل حيلة ليكون ذلك سبيلاً إلى ما يقصده من الاصطياد ، فهكذا ما نحن فيه إذا أراد تحصيل مقصد من المقاصد فإنه يحتال بإيراد ألطف القول وأحسنه ، فما هذا حاله من الكلام يقال له استدراج . " [١]

وقد جاءت المغالطة باستخدام أسلوب المذهب الكلامي في بداية رسالة سيدنا معاوية التي أرسل بها إلى سيدنا علي ، وقد بدأ رسالته:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب: أما بعد: فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف."[٢]

فقد بدأ سيدنا معاوية رسالته بالبسملة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِي أَوَّلِهِ بِذِكْرِ اللهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ"[٣] وليصبغ على رسالته طابع الدين وإبراز صلته به.

---

(١) الطراز للعلوي ج ٢ ص٢٨١-٢٨٢

(٢) الكامل في اللغة والأدب ج١ ص ٢٥٨

(٣) الحديث في السنن الكبرى أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِي أَوَّلِهِ بِذِكْرِ اللهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ. السنن الكبرى ج٩ ص ١٨٥ المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي ـ أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ـ قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

ثم قال: (من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب) فبدأ سيدنا معاوية باسمه؛ لأنه المرسل وثنى باسم سيدنا علي؛ لأنه المرسل إليه فاتبع بذلك النظام الأكثر شهرة في المكاتبات .

والاكتفاء بالعلم في الجانبين لإرادة إظهار التسوية بينهما تسوية محضة ، وهذا ابتداء المغالطة؛ إذ إن عليا رضي الله عنه حينئذ أمير المؤمنين ، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بخلاف معاوية ، فكان مقتضى الظاهر تسميته بلفظ الخلافة ، ولكنه اكتفى باسمه العلم مغالطة لإرادة أمرين :

١-إرادة إظهار عدم خروجه على خليفة المسلمين وعصيانه له .

٢- إبراز التسوية بينهما في الحقوق والواجبات ، ومن ثم الصفات أيضا وتلك بداية المغالطة ، وتمهيد لكل ما سيأتي بعد من كلام ، ومن هنا كان القسم الأول من الرسالة ممهدًا لمعانيها ، وكاشفًا عن مقصوده منها.

ثم جاء بالقسم (لعمري) "هذا اللفظ يستعمل في القسم ومعنى العَمْر الحياة، وهو العُمْر والعُمُّر شيء واحد، يقال قد طال عمره ، ويستعمل في القسم المفتوح ليس غير فيقال: لعمرك...واللام الداخلة عليه هي لام الابتداء، فمعنى لعمرك : لحياتك، فهو مبتدأ وخبره محذوف تقديره قسمي، فيكون الكلام حياتك قسمي والمراد أقسم بحياتك."[1] فهو يحلف بحياته ، ليؤكد كلامه قبل النطق به .

ثم جاء بعد القسم بشرط وجوابه ، فجمع بين القسم والشرط ، وعندما " يجمعون بين القسم والشّرط، فيحذفون جواب أحدهما، لدلالة المذكور على

(١) معاني النحو ج٤ ص١٦٥المؤلف: د. فاضل صالح السامرائي ــ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن ــ الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

المحذوف، فإن قدّموا القسم حذفوا جواب الشّرط، وإن قدّموا الشّرط حذفوا جواب القسم، فمثال تقديم الشّرط، قولك : إن زرتنى والله أكرمتك، ومثال تقديم القسم، قولك : والله إن زرتني لأكرمنّك"[١] وهذا ما فعله سيدنا معاوية ، فقد قدم القسم على الشرط فحذف جواب الشرط.

ثم أتى بأسلوب مغالطة يتكون من جزأين الجزء الأول ليس موضع خلاف بل هو متفق عليه، والجزء الثاني وهو ما بني على الجزء الأول ولكن فيه المغالطة.

فالجزء الأول : أنه جاء بمقدمتين ونتيجة فقال: (لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين).

فالمقدمة الأولى: (لو بايعك القوم الذين بايعوك)

والمقدمة الثانية: (وأنت بريء من دم عثمان)

والنتيجة: (كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين).

فقد سلك سيدنا معاوية مسلك أهل الكلام ، ليتمكن من المغالطة التي سيبني عليها كلامه، فقد عرض شاهدا ومثالا واقعيا ، فهو يذكر أحداثا وأسماء لها وقعها على المتلقي ليبدأ باستقطابه ، فكل همه الآن السيطرة على خصمه ، وإفحامه وتعجيزه عن الرد .

فأتى بشيء واقعي متفق عليه ولا يستطيع أحد أن ينكره فقال: (لو بايعك القوم الذين بايعوك)

---

(١) أمالي ابن الشجري ج٢ ص١١٨ المؤلف: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي ابن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: الدكتور محمود محمد الطناحي ــ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ــ الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩١ م.

فذكر أن المبايعة تمت من الصحابة ولا أحد ينكرها ، والبناء التركيبي لهذه العبارة يؤكد ذلك :

فقد عبر بالفعل الماضي (بايعك) لإفادة تحقق وقوع البيعة ، وأتى بهذا الفعل مضافًا إلى كاف الخطاب التي لسيدنا علي ؛ للدلالة على أنهم بايعوا سيدنا على نفسه دون سواه .

ثم أتى بكلمة (القوم) وعبر بها دون سواها كـ (بايعك الناس) مثلا: لدلالة القوم على استكمال مقومات القومية ، في اللغة يُقَالُ: فُلَانٌ ذُو قُومِيَّةٍ عَلَى مَالِهِ وأَمْرِه. وَتَقُولُ: هَذَا الأَمر لَا قُومِيَّة لَهُ أَيْ : لَا قِوامَ لَهُ. والقُومُ : القصد.[1]

فالذين بايعوه قد استوفوا مقومات القومية ، فبيعتهم صحيحة مائة في المائة ، ولا غبار عليها، ثم وصف (القوم) بالموصول وصلته ، التي صدرها بالفعل الماضي أيضا (الذين بايعوك) ما يؤكد أن البيعة قد تحققت وتمت بالفعل ، كما أضاف الفعل أيضا إلى كاف الخطاب للمرة الثانية ، ليؤكد على بيعتهم لسيدنا علي دون سواه، فهذه حقيقة لا تنكر .

ثم أتى بمقدمة ثانية فقال: (وأنت بريء من دم عثمان) أي أن هذه البيعة تمت على دخن ، لأنه يريد أن يقول لسيدنا علي : إن المبايعة تمت وأنت لست بريئا من دم عثمان .

والدليل على ذلك النتيجة التي ذكرها بعد ذلك فقال: (كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين) فهو يقول: إن كان القوم بايعوه وهو بريء من دم عثمان كانوا اتفقوا عليه ، كما اتفقوا على أبي بكر وعمر وعثمان ، فهو يريد نفى المشابهة بين بيعته وبين بيعة هؤلاء الثلاثة رضي

(١) لسان العرب ج١٢ ص٤٩٩.

الله عنهم ؛ لأن مبايعة الثلاثة تمت وليس هناك شيء يتعلق بهم ، أما سيدنا علي فقد تعلق ببيعته شيء ، وهذا الشيء كما هو في معتقد سيدنا معاوية هو عدم براءته من دم سيدنا عثمان .

فقد بنى هذه النتيجة على المقدمتين السابقتين" والنتائج ثلاث : إحداها ما صدر عن قول مسلم في العقل لا خلاف فيه، فتكون النتيجة عنه برهاناً كقولنا : إذا كان الزوج ما ركب من عددين متساويين فالأربعة زوج، والأخرى ما صدر عن قول مشهور إلا أنه مختلف فيه، فتكون النتيجة عنه إقناعاً كقولنا: إذا كان حق الباري عز وجل – واجباً علينا؛ لأنه علة لوجودنا، فقد وجب حق الوالد أيضاً وصحة هذه النتيجة إنما تقع بالاحتجاج لمقدمتها حتى يعترف بها من لا يعترف ثم تصح. والثالثة ما صدر عن قول كاذب وضع المغالطة، كقولنا: إن اللصوص يخرجون بالليل للسرقة ففلان سارق لأنه خرج بالليل، وهذا باطل، لأن السارق ليس هو سارق من أجل خروجه بالليل، وإلا فكل من خرج بالليل فهو سارق[١] ".

وسيدنا علي بريء من دم سيدنا عثمان فهو بالفعل كالخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم ، ولكن سيدنا معاوية قدم لأسلوب المغالطة ، بهذه الحقيقة التي لا تنكر ، وقد استخدم سيدنا معاوية في البنية التركيبية ألفاظًا تتناسب مع مراده.

---

(١) البرهان في وجوه البيان ص ٦٩ (نشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر) المؤلف: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ــ المحقق: د. حفني محمد شرف (أستاذ البلاغة، والنقد الأدبي المساعد – كلية دار العلوم، جامعة القاهرة) الناشر: مكتبة الشباب (القاهرة) – مطبعة الرسالة عام النشر: ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م.

فقال: (وأنت بريء من دم عثمان) باستخدام ضمير المخاطب الذي يشير به إلى سيدنا على وكأنه يوجه إليه أصابع الاتهام ، فهو يتهمه ولا يتهم سواه .

ثم أتى بالوصف (بريء) الذي فيه معنى التخلص والتنزه والتباعد [1] مع بنائه على الاسمية ليقول لسيدنا علي لو ثبتت براءتك على وجه الثبوت والدوام ....، ولكنه في معتقده ليس ببعيد ولا متنزه عن دم سيدنا عثمان على وجه الثبوت والدوام .

وقال: (من دم عثمان) لما في ذكر الدم من البشاعة والشناعة التي تنفر النفوس ، فسيدنا معاوية يريد تنفير الناس من سيدنا علي الذي تلوثت يده بدم سيدنا عثمان على حسب معتقده .

وعبر بالعلم (عثمان) لإحضاره في ذهن السامع باسمه الخاص به ليميزه عمن عداه.

فذكر سيدنا عثمان باسمه يستحضره بشخصه في هذا الموقف الذي فيه ما فيه من البشاعة ، حتى كأن المتلقي يشاهده ماثلا أمامه ملطخا بالدماء.

وقال: (كنت كأبي بكر وعمر وعثمان) فجاء الجواب بالفعل الماضي ليقول: لو تحققت براءتك تحقق كونك على شاكلة أبي بكر وعمر وعثمان.

وأتى بأسماء الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم ولم يقل كنت كالخلفاء السابقين مثلا ، ليحضرهم بأسمائهم أمام المتلقي ، ليتميزوا عمن عداهم.

فسيدنا معاوية أتى بهاتين المقدمتين والنتيجة ليقرر موقفه ويثبته، فهو أراد القول لسيدنا علي، لو إن القوم بايعوك واتفقوا على ذلك ، وأنت

(١) ينظر لسان العرب ج١ ص٣٣.

بريء من دم سيدنا عثمان ؛ كانت مبايعتك كمبايعة الخلفاء الثلاثة السابقين ، فهي مبايعة لا تشوبها الشوائب.

أما الجزء الثاني فهو أسلوب المغالطة ؛ وذلك أنه أتى بمقدمتين ونتيجة مرة أخرى فيهم ما فيهم من المغالطات فقال: (ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف).

فهذه المغالطة أراد أن يثبت بها سيدنا معاوية موقفه ، ويشكك بها في موقف سيدنا علي

المقدمة الأولى: (أغريت بعثمان المهاجرين).

والمقدمة الثانية: (وخذلت عنه الأنصار).

النتيجة: (فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف).

وقد جاء البناء التركيبي لهاتين المقدمتين والنتيجة يتناسب تمامًا مع أسلوب المغالطة ، فقد بدأ المقدمة الأولى بقوله: (أغريت) وهذه الكلمة تحمل معنى الولوع واللزق واللجوج يقال: " غَراً وغَرَاءً : أُولِعَ بِهِ، وكَذَلِكَ أُغْرِيَ بِهِ إِغْرَاءً وغَرَاةً وغُرِّيَ وأَغْرَاهُ بِهِ لَا غيرُ، وَالِاسْمُ الغَرْوَى، وَقِيلَ: الِاسْمُ الغَرَاءُ، بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ. وَحَكَى أَبو عُبَيْدٍ: غَارَيْتُ بَيْنَ الشَّيْئين غِرَاءً إِذا والَيْت... قَالَ : وَهُوَ فاعلْت مِنْ قَوْلِكَ غَرِيَت بِهِ أَغْرى غَراءً. وغَرِيَ بِهِ غَراةً، فَهُوَ غَرِيٌّ: لَزِقَ بِهِ ولَزمه ... وغارَيْتُه أُغَارِيه مُغَارَاةً وغِراءً إِذا لاجَجْتَه..... وأَغْرَى بَيْنَهُمُ العَداوة: أَلْقاها كأَنه أَلْزَقَها بهمْ، وَالِاسْمُ الغَرَاةُ. والإِغْرَاءُ: الإِيسادُ. وَقَدْ أَغْرَى الكَلْبَ بالصَّيْد وَهُوَ مِنْهُ لأَنه إِلْزاقٌ، وأَغْرَيْتُ الكَلْبَ إِذا آسَدْتَه وأَرَّشْتَه"[1]

(١) ينظر : لسان العرب ج ١ ص ١٢١.

كما تحمل الكلمة معنى التحريض على الفعل والحث عليه فـــ " الْإِغْرَاءُ: الْحَثُّ وَالتَّحْرِيضُ عَلَى فِعْلٍ. وَيَتَعَدَّى فِعْلُهُ بِحرف علـــى وبالبـــاء، وَالْأَكْثَرُ أَنَّ تَعْدِيَتَهُ بِعَلَى تُفِيدُ حَثًّا عَلَى الْفِعْلِ مُطْلَقًا فِي حَدِّ ذَاتِهِ وَأَنَّ تَعْدِيَتَـــهُ بِالْبَاءِ تُفِيدُ حَثًّا عَلَى الْإِيقَاعِ بِشَخْصٍ لِأَنَّ الْبَاءَ لِلْمُلَابَسَـــةِ. فَـــالْمُغْرَى عَلَيْـــهِ مُلَابِسٌ لِذَاتِ الْمَجْرُورِ بِالْبَاءِ، أَيْ وَاقِعًا عَلَيْهَا. فَلَا يُقَالُ : أَغْرَيْتُـــهُ بِـــهِ، إِذَا حَرَّضَهُ عَلَى إِحْسَانٍ إِلَيْهِ."[1]

فقد أراد سيدنا معاوية هذه الكلمة بما تحويه من معـــان ، فـــأراد أن يقول: إن سيدنا علي حرض المهاجرين ولج بهم في معادة سيدنا عثمـــان ، بل وحبب إليهم ذلك، وأتى بها على صورة الفعل الماضي لإفادة تحقق وقوع الإغراء.

وقدم الجار والمجرور (بعثمان) لتخصيص سيدنا عثمان بذلك ، فقـــد أغراهم به دون سواه، وقد حذف المضاف وأقام المضـــاف إليـــه مكانـــه ، والتقدير (بقتل عثمان) للمسارعة إلى المطلوب.

ثم قال في المقدمة الثانية :(وخذلت عنه الأنصار) فاســـتخدم الفعـــل (خذلت) دون غيره كـــ (باعدت) مثلا؛ لأن" الخاذِلُ: ضِـــدُّ النَّاصِـــرِ. خَذَلَـــه وخَذَلَ عَنْهُ يَخْذُلُهُ خَذْلًا وخِذْلاناً: تَرَكَ نُصْرته وعَوْنه والتَّخْذِيل: حَمْلُ الرَّجُلِ عَلَى خِذْلان صَاحِبِهِ وتَثْبِيطُه عَنْ نصْرته... وخَذَّل عَنْهُ أَصحابَه تَخْـــذِيلًا أَي حَمَلَهم عَلَى خِذْلانه. وتَخَاذَلوا أَي خَذَل بعضُهم بَعْضًا... الخَذْل: تَرْكُ الإِعانة وَالنُّصْرَةِ"[2]

---

(١) التحرير والتنوير ج ٢٢ ص١٠٩«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد مـــن تفســـير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشـــور التونســـي (المتوفى : ١٣٩٣هـــ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـــ .

(٢) ينظر: لسان العرب ج١١ ص٢٠٢.

فهو يريد أن يقول: إن سيدنا علي لم يترك نصرة سيدنا عثمان وحسب؛ بل أيضا حمل الأنصار على عدم إعانته أو نصرته.

ويلحظ أنه بنى المقدمتين على أسلوب المقابلة بين أغريت .. المهاجرين وخذلت.. الأنصار لكي يجمع لسيدنا علي كل ما يؤكد على إلصاق التهمة به من جميع جوانبها فهو لم يكتف له بأنه أغرى المهاجرين بسيدنا عثمان أو بأنه لم ينصره ويقف بجانبه .. وإنما جمع له بين كل هذا...

وقدم الجار والمجرور (عنه) لتخصيص سيدنا عثمان بذلك الخذلان ، وعرف المهاجرين والأنصار بـ (أل) الجنسية لإفادة العموم والشمول ، فقد أراد جميع المهاجرين والأنصار.

وكانت النتيجة : (فأطاعك الجاهل ، وقوي بك الضعيف)

فقد استخدم (الفاء) في قوله (فأطاعك) للدلالة على المسارعة في الطاعة بدون تمهل أو تفكير.

وفي اختياره للفظ (أطاعك) ما ينم عن الانقياد التام لسيدنا على؛ لأن" الطَّوْعُ: نَقِيضُ الكَرْهِ. طاعَه يَطُوعُه وطاوَعَه، وَالِاسْمُ الطَّواعةُ والطَّواعِيةُ... وطَاعَ لَهُ يَطُوعُ إِذا انْقَادَ لَهُ، بِغَيْرِ أَلِف، فإِذا مضَى لأَمره فَقَدْ أَطاعَه، فإِذا وَافَقَهُ فَقَدْ طَاوَعَهُ"(١)

وفي تعبيره بلفظ الجاهل ما يفيد أن الذي سارع إلى طاعته هو الذي لا يعلم شيئًا عن الحقيقة في نظر سيدنا معاوية ، ولوكان عنده شيء من العلم لما أطاعه.

(١) ينظر : لسان العرب ج٨ ص٤٤٠ .

ثم قال : (وقوي بك الضعيف) باستخدام لفظ (قـوي)؛ لأن" القُـوَّةُ نَقِيضُ الضَّعْفِ، وَالْجَمْعُ قُوًى وقِـوًى . وَقَوْلُـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ :﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ (١)؛ أَي بِجِدّ وعَوْن مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، ... ويَكُونُ ذَلِـكَ فِـي البَدن وَالْعَقْلِ"(٢)

وعبر بلفظ (ضعيف) لأن " الضُّعْفُ: خِلافُ القُوّةِ، وَقِيـلَ : الضُّـعْفُ، بِالضَّمِّ، فِي الْجَسَدِ؛ والضَّعْف، بِالْفَتْحِ، فِي الرَّأْيِ والعَقْلِ، وَقِيلَ: هُمَـا مَعًـا جَائِزَانِ فِي كُلِّ وَجْهٍ، .... والضَّعْفَةُ: ضَعْفُ الْفُؤَادِ وقِلَّةُ الفِطْنَـةِ.... رَجُـلٌ مَضْعُوفٌ وضَعُوفٌ وضَعِيفٌ،... وشِعر ضَعِيف: عَلِيل" (٣)

فقد تقوى بك الضعيف الذى يتصف بهذا الضعف العـام فـي الـرأي والعقل والفؤاد، كما أنه قليل الفطنة عليل ، ولو لـم يكـن يتصـف بهـذه الأوصاف لما اتبعك .

وفي الجمع بين لفظ (قوي) ولفظ (الضعيف) طبـاق أكـد المعنـى ووضحه ، وفي تقديم الجار والمجرور (بك) وتوسطه بين الفعل والفاعل، ما يدل على التخصيص ، فهذا الضعيف لم يقو إلا بك نتيجة ذلك الإغـراء ، وهذا الخذلان .

ثم نجد سيدنا معاوية في قولـه: (المهـاجرين والأنصـار و الجاهـل والضعيف) اكتفى بالصفة عن الموصوف لإفادة العموم والشـمول ، وهـذا يطرد حين لا تخص الصفة أحدًا من الموصوفين أو حالًا دون غيرها ، فكان البناء على الصفة أدل على حكاية حالهم ؛ لإفادة العمـوم والشـمول لكـل

(١) مريم الآية ١٢ .

(٢) ينظر: لسان العرب ج١٥ ص ٢٠٧ .

(٣) ينظر: لسان العرب ج ٩ ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

موصوف يتحقق فيه الوصف، كما أنه في جميع الصفات التي أقامها مقام الموصوف عرفها بأل الجنسية حتى يتأكد العموم والشمول في الصيغة والبناء .

ولكن جاء رد سيدنا علي في رسالته الموجهة إلى سيدنا معاوية قويًّا ليصوب هذه المغالطة فقال: " بسم الله الرحمن الرحيم، من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر، أما بعد: فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصرٌ يهديه، ولا قائدٌ يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده فاتبعه، زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان. ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على ضلال، ولا ليضربهم بالعمى."(١)

وقد " ذهب أكثر البلغاء إلى أن الكتب الجوابيّة أتعب مطلبًا وأصعب مرتقى من الكتب الابتدائية، وأن فيها تظهر مهارة الكاتب وحذقه،... أن المبتدئ محكّم في كتابه، يبتدئ بألفاظه كيف شاء، ويقطعها حيث يشاء، ويتصرّف في التقديم والتأخير، والحذف والإثبات والإيجاز والإسهاب؛ ويبني على أساس يؤسسه لنفسه، والمجيب ليس له تقديم ولا تأخير، وإنما هو تابع لغرض المبتدئ، بان على أساسه."(٢)

فرد سيدنا علي جاء بهدوء نفسي وثبات انفعالي منقطع النظر؛ حيث بدأ رسالته بالبسملة ، ثم قوله: " من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر" ثم قوله: "أما بعد" كما فعل سيدنا معاوية في رسالته، وكعادة القوم في افتتاح الرسائل .

---

(١) الكامل ج١ ص ٢٥٨وص ٢٦١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج٦ ص٣١١ المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت .

وقوله من علي بن أبي طالب ولم يقل من خليفة المسلمين أو من أمير المؤمنين... مجاراة للخصم حتى يرد عليه بنفس أسلوب كلامه..

ثم إنه قبل أن يبدأ بتصويب المغالطة مهد لإثبات المغالطة التي جاءت في رسالة سيدنا معاوية بتمهيد اعتمد فيه على بيان صفات المتلقي حيث قال: (فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصرٌ يهديه، ولا قائدٌ يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده فاتبعه)

"فإنه إذا كان الكتاب جوابًا عن كتاب ورد، أجيب بما ينقضه، وبني الأمر فيه على ما يبسط الهيبة، ويدعو إلى النزول على أحكام الطاعة. ويختلف الحال في ذلك باختلاف الأمور الحادثة، والأسباب العارضة، فينبغي للكاتب أن يحتاط فيما يطلق به قلمه من هذه المعاني الخطيرة"(١)

فسيدنا علي درس الموقف جيدًا فتهيأ له ، ليستطيع مبارزة خصمه هذه المبارزة الكلامية بأشد العبارات .

فقال في تمهيده للرد: (فإنه أتاني منك كتاب) جاء في بداية كلامه بـ (إنه) أي الشأن أو القصة من أجل" الِاهْتِمَامِ بِالْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهُ؛ لِأَنَّ الْجُمَلَ الْمُفْتَتَحَةَ بِضَمِيرِ الشَّأْنِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُهْتَمِّ بِهَا."(٢)

فسيدنا علي أراد لفت انتباه المتلقي إلى أهمية كلامه ، وتعظيم شأنه ؛ ليقبل على كلامه باهتمام.

ثم قال: (أتاني) ولم يقل: (جاءني)" أَن قَوْلك: جَاءَ كَلَام تَامّ لَا يحْتَاج إِلَى صلَة وقولك أَتَى فلَان يَقْتَضِي مجيئة بِشَيْء ولِهَذَا يُقَال جَاءَ فلَان نَفسه وَلَا يقال أَتَى فلَان نَفسه ثمَّ كثر ذَلِك حَتَّى اسْتَعْمل أحد اللَّفْظَيْنِ فِي مَوضِع الآخر"(٣)

---

(١) صبح الأعشى ج٨ ص ٢٦٢.

(٢) التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ١٦٣.

(٣) الفروق اللغوية ج ١ ص٣٠٩.

وقال: (منك) ليواجهه بالخطاب و ليفيد أن الكتاب الذي أتى هو من سيدنا معاوية نفسه ، فيدفع توهم أنه يتكلم عن كتاب آخر.

وقال: (كتاب امرئ) ولم يقل: (كتابك) بالالتفات من الخطاب في قوله: (منك) إلى الغائب في قوله (امرئ) تمهيدًا لوصفه بالأوصاف التي ستأتي بعد هذا القول بطريقة غير مباشرة ليناسب خطاب سيدنا معاوية بطريقته التي فيها ما فيها من التمويهات والمغالطات .

ثم بدأ بوصفه بقوله: (ليس له بصر يهديه) فدخول ليس على الجار والمجرور المقدم ما يوحي بانعدام البصر الخاص به ، كما أنه قدم الجار والمجرور ليصبح الأسلوب أسلوب قصر فيؤكد كلامه ويقويه ، ويفيد اختصاصه بهذا دون غيره .

وقال: (ليس له بصر) ولم يقل (ليس له نظر)؛ لأنه أراد وصفه بانعدام الفطنة والفراسة الصادقة والعبرة والعلم ، فكلمة البصر تحوي كل هذه المعاني [١]

وعبر بالفعل المضارع (يهديه) ليفيد اتصافه بعدم الهداية على جهة التجدد والاستمرار ، فهو لا يهتدي في كل الأمور .

ثم عطف على هذه الجملة قوله (ولا قائد يرشده)؛ لأنه أراد أن يجمع له بين الأمرين فهو ليس له بصيرة من نفسه تؤدي إلى هدايته ، ولا يلجأ

---

(١) البَصَرُ : نَفاذٌ فِي الْقَلْبِ . وبَصرُ الْقَلْبِ : نَظَرَهُ وَخَاطِرُهُ . والبَصِيرَةُ : عَقِيدَةُ الْقَلْبِ . قَالَ اللَّيْثُ : البَصيرة اسْمٌ لِمَا اعْتُقِدَ فِي الْقَلْبِ مِنَ الدِّينِ وَتَحْقِيقِ الأَمر؛ وَقِيلَ : البَصيرة الْفِطْنَةُ، تَقُولُ الْعَرَبُ : أَعمى اللَّهُ بَصَائِرَهُ أَي فِطَنَه... وإِنه لَبَصِيرٌ بالأَشياء أَي عَالِمٌ بِهَا؛ وَيُقَالُ للفِراسَةِ الصَّادِقَةِ : فِراسَةٌ ذاتُ بَصِيرة . وَالْبَصِيرَةُ : العِبْرَةُ؛ يُقَالُ : أَمَا لَكَ بَصِيرةٌ فِي هَذَا؟ أَي عِبْرَةٌ تَعْتَبِرُ بِهَا... والبَصَرُ: الْعِلْمُ . وبَصُرْتُ بِالشَّيْءِ : عَلِمْتُه ينظر: لسان العرب ج٤ ص ٦٥.

إلى أحد قوي ذي رأي رشيد يهديه إلى الحق ، ويدله على الصواب، ويرده عن الضلال ، ولذا آثر التعبير بكلمة (يرشده)؛ لأن الرشاد نقيض الغي كما أنه نقيض الضلال [١]

وفي قوله : (ليس له بصرٌ يهديه، ولا قائدٌ يرشده) فيه إبهام؛ لأن المتلقي يتشوق لشرح هذا الأمر وتوضيحه ، فوضحه بهذه الاستعارة (دعاه الهوى فأجابه، وقاده) فالهوى يدعوه ويقوده وهو من ناحيته يسارع بإجابته واتباعه ، وهذه المسارعة دلت عليها الفاء الداخلة على الفعلين الماضيين (أجابه واتبعه) فلقد تحقق منه وقوع كل من الإجابة والاتباع على وجه السرعة دون تراخ في الفعل، مما يدل على عدم حكمته وعدم تمهله، فقد فعل ذلك بدون أدنى تفكير.

كما أن في استخدامه لكلمة (اتبعه) ما يدل على طلبه للهوى وملاحقته له [٢]

فهذا الإيضاح بعد الإبهام جعل المعنى يتمكن ويتضح " ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك فإذا ألقي كذلك تمكن فيها

---

(١) الرَّشاد : نَقِيضُ الْغَيِّ. رَشَدَ الإِنسان، بِالْفَتْحِ، يَرْشُد رُشْداً، بِالضَّمِّ، ورَشِد، بِالْكَسْرِ، يَرْشَد رَشَداً ورَشاداً، فَهُوَ راشِد ورَشيد، وَهُوَ نَقِيضُ الضَّالِّ، إِذا أَصاب وَجْهَ الأَمر وَالطَّرِيق... وأَرشَدَه اللَّهُ وأَرشَدَه إِلى الأَمر ورشَّده : هَدَاهُ . واسترْشَده : طَلَبَ مِنْهُ الرُّشْدَ . وَيُقَالُ : استرْشَد فُلَانٌ لأَمره إِذا اهْتَدَى لَهُ، وأَرشَدْتُه فَلَمْ يَسْتَرْشِد . وَفِي الْحَدِيثِ: وإِرشاد الضَّالِّ أَي هِدَايَتُهُ الطريقَ وَتَعْرِيفُهُ. ينظر: لسان العرب ج٣ ص١٧٥.

(٢) تبع الشيءَ تَبَعاً وتَباعاً فِي الأَفعال وتَبِعْتُ الشيءَ تُبوعاً: سِرْت فِي إِثْرِه؛ واتَّبَعَه وأَتْبَعَه وتتَبَّعه قَفاه وتَطلَّبه مُتَّبعاً لَهُ . لسان العرب ج٨ ص٢٧.

فضل تمكن وكان شعورها به أتم، أو لتمكن اللذة بالعلم به فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة، وبسبب حرمانها من الباقي ألم، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم أو لتفخيم الأمر وتعظيمه"[١]

كل ذلك مهد به سيدنا علي لإثبات المغالطة فقد اعتمد على صفات سيدنا معاوية التي مكنته من المغالطة؛ ليرد سيدنا علي بعد ذلك بالرد القاطع الذي يصوب به المغالطة، حيث قال موجهًا الخطاب لسيدنا معاوية: (زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان. ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على ضلال، ولا ليضربهم بالعمى)

فقد جاء النقض والتصويب بأسلوب الاستدراج أولا:

فقد قال سيدنا علي: (زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان) فقد حكى سيدنا علي مغالطة سيدنا عثمان بمعناها ، فكان الاستدراج أن أثبت الدعوى السابقة كأنه يوافقه عليها ، ويسلم بها.

والبناء التركيبي في أسلوب الاستدراج أعانه على ذلك فقد بدأه بكلمة مطاطية وهي (زعمت) وهذه الكلمة تحمل معنى الصدق والكذب " فالزَّعْمُ والزُّعْمُ والزِّعْمُ، ثَلَاثُ لُغَاتٍ: الْقَوْلُ...: وَقِيلَ: هُوَ الْقَوْلُ يَكُونُ حَقًّا وَيَكُونُ

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ج٣ ص١٩٦ المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ــ الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة.

بَاطِلًا.... وَقَالَ اللَّيْثُ: سَمِعْتُ أَهل الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُونَ إِذا قِيلَ ذَكَرَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ لأَمر يُسْتَيْقَنُ أَنه حَقٌّ، وإِذا شُكَّ فِيهِ فَلَمْ يُدْرَ لَعَلَّهُ كَذِبٌ أَو بَاطِلٌ قِيلَ زَعَمَ فُلَانٌ،... وَقِيلَ: الزَّعْمُ الظَّنُّ، وَقِيلَ: الْكَذِبُ"[1]

فقد قصد سيدنا علي هذه الكلمة بمعناها ؛ حتى يتلاعب بمخاطبه ويستدرجه من حيث لا يدري، فلم يقل له إنه كاذب ولم يقل له إنه صادق.

ثم لم يكتف بضمير الخطاب (تاء الفاعل) في الفعل (زعمت)، بل أتى بـ (إنك) بعدها ليؤكد كلامه فهو القائل لا أحد غيره .

ثم أتى بعد ذلك بأسلوب قصر في قوله: (إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان) وقد استخدم للقصر (إنما) وهي تستخدم في الأمر المعلوم الذي لا ينكره المخاطب[2]؛ وهذا ليقوى الاستدراج ، فيقول له: إن هذا الأمر واضح لا أستطيع إنكاره.

حتى إن البناء التركيبي لجملة القصر فيه تمويه وتلاعب؛ حيث عبر بقوله (أفسد عليك بيعتي)؛ لأن "الفسادُ: نَقِيضُ الصَّلَاحِ "[3] فقد اكتفى بهذه الكلمة دون غيرها ليفيد أن البيعة تمت وهو الأحق بها بدليل إضافة البيعة إلى ياء المتكلم فقد قال: (بيعتي) فهي له دون سواه ، ولكن هي عند سيدنا معاوية غير صالحة؛ بدليل قوله: (عليك) فهي غير صالحة بالنسبة له فقط، واستخدم حرف الجر (على) التي للاستعلاء ليوحي بثقل هذه البيعة على نفس سيدنا معاوية ، وكيف أنها مفروضة عليه، مع شعوره بعدم صلاحيتها.

---

(١) لسان العرب ج١٢ ص٢٦٤.

(٢) ينظر: الإيضاح ج٣ ص ٣٥.

(٣) لسان العرب ج٣ ص ٣٣٦.

وعبر بقوله: (خطيئتي في عثمان)؛ ردا على قول سيدنا معاوية الوارد في رسالته: (وأنت بريء من دم عثمان) حيث آثر كلمة (خطيئتي)؛ لأنها كلمة بعيدة عن الدم والقتل [١] ؛ فهو لم يرد أن ينسب إلى نفسه القتل أو الدم؛ لأنه بريء وبعيد كل البعد عن كل هذا، ولذا اختار كلمة لا تنبئ عن كل ذلك ، وفي إضافة الخطيئة إلى نفسه حيث قال: (خطيئتي) ليستدرج مخاطبه بإثبات دعواه أن سيدنا علي أخطأ.

وقال (في عثمان) باستخدام حرف الجر (في) ليوحي باعتقاد سيدنا معاوية بتورط سيدنا على، ودخوله في هذا الأمر وتغلغله فيه.

كل ما سبق كان استدراجًا للمتلقي في محاولة منه لإقناعه أنه مصدق لكلامه ، مثبت له ، لينقض عليه برده الرادع بعد ذلك ؛ فقد تلقاه بغير ما يترقب وهذا أسلوب الحكيم ؛ حيث قال سيدنا علي بعد ذلك : (ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا).

فهو يريد أن يقول: إنه وقف من سيدنا عثمان موقف بقية المهاجرين ولو كان متهمًا لكانت التهمة لكل المهاجرين." ولئن اتهم علي بقتل عثمان فليس في المدينة أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهو متهم به، أو قل معلوم قطعًا أنه قتله؛ لأن ألف رجل جاءوا لقتل عثمان لا يغلبون أربعين ألفًا " [٢]

---

(١) الخَطأُ والخَطاءُ: ضدُّ الصَّوَابِ... وأَخْطَأَ الطَّرِيقَ: عَدَل عَنْهُ . وأَخْطَأَ الرَّامِي الغَرَضَ: لَمْ يُصِبْه.... وخَطِئَ الرجلُ يَخطأُ خِطْأً وخِطْأَةً عَلَى فِعْلَةٍ: أَذنب . لسان العرب ج١ ص٦٦.

(٢) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ج١ ص١٦٥ المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب رحمه الله الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ

فهو لم يقل له : أنت كاذب في زعمك ، وأنا بريء ، ولكن لما قال: (ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين ....) يكون قد كذبه بالدليل ، وهذا أقوى في الرد على مغالطته؛ لأنه رد ردا فيه تمويه " والتمويهات تكون بطي محل الكذب من القياس عن السامع، أو باغتراره إياه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباهها بما يكون صدقًا، أو بترتيبه على وضع يوهم أنه صحيح لاشتباهه بالصحيح، أو بوجود الأمرين معًا في القياس أعني أن يقع فيه الخلل من جهتي المادة والترتيب معا، أو بإلهاء السامع عن تفقد موضع الكذب وإن كان إلى حيز الوضوح أقرب منه على حيز الخفاء بضروب من الإبداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محل الكذب والخلل الواقع في القياس من جهة مادة أو من جهة ترتيب أو من جهة المادة والترتيب معا"[١]

وقد جاء البناء التركيبي لأسلوب الرد مناسبًا ، فقد بدأ كلامه بالقسم (لعمري) وذلك كما فعل سيدنا معاوية في بداية كلامه ، فقد أقسم بحياته كما أقسم سيدنا معاوية بحياته ، وذلك ليشاكل كلام المرسل كلام المرسل إليه" أنّ المجيب- إذا كان جوابه محتملًا للإشباع والتوسّع- مضطرّ إلى اقتصاص ألفاظ المبتدئ واتّباعها للإجابة عنها، وذلك يؤدّي إلى تصفّح كلام المبتدئ ، والمجيب يصل ما بين الكلامين؛ لأن الكلامين يتقابلان فلا تخفى رتبتهما"[٢]

ثم جاء بأسلوب قصر طريقه النفي والاستثناء فقال: (ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين) وهذا الأسلوب فيه ما فيه من القوة والتأكيد .

---

(١) منهاج البلغاء ص١٩.

(٢) صبح الأعشى ج٦ ص٣١١.

فأسلوب القصر أبلغ ؛ لأن فيه الإيجاز وأيضًا تقرير الكلام وتمكينه في الذهن لدفع ما فيه من إنكار أو شك [١] فسيدنا معاوية يعلم ذلك ولا ينكره ، ولكن سيدنا علي نزله منزلة من ينكر كونه من المهاجرين ؛ لأنه اتهمه بهذه التهمة التي هو بريء منها .

وقال (من المهاجرين) ولم يقل من الأنصار حتى يحقق نسبته لسيدنا عثمان وقرابته منه وأنه يتصف معه بنفس صفة الهجرة... وهذا يدل على دفاعه عنه وليس على المشاركة في قتله.. وهذا يقوي دفع التهمة عن سيدنا علي بطريق الأولى...

ثم أتى بهذه الكناية في قوله: (أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا) ليثبت المعنى بالدليل، فهو لم يفعل إلا ما فعلوه ، ولو هو متهم لكانوا جميعًا متهمين .

ثم أراد أن يؤكد كلامه تأكيدًا فوق تأكيد فأتى بأسلوب القياس بالأولى فقال: (وما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى)

أي: إذا كانوا قد اجتمعوا على هذا الفعل ، ومن المؤكد أنهم لا يجتمعون على ضلال ، فمن باب أولى يكون معهم الحق في هذا أيضًا ، وإذا كان معهم الحق ، فالحق معي أيضًا؛ لأنه ما أنا إلا واحد منهم ، وبهذا يكون سيدنا علي أثبت براءته عن طريق القياس بالأولى .

" فالقياس قول مؤلف من مقدمات وقضايا إذا كانت مسلمة ورتبت الترتيب الذي يجب في القياس الصحيح لزم عن ذلك القول المرتب لذاته قول آخر يسمى نتيجة" [٢]

---

(١) الإيضاح ج٣ ص٥ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢٠.

"فإذا كان القياس صحيحًا انتهى إلى إفحام مناظرنا، ولا أقول إلى إقناعه؛ لأن الإقناع إحساس وتسليم قلبي، وأما الإفحام فانعقاد للسان أو شلل للعقل، وهذا هو الجدل "[1]

وقد بنى القياس على أسلوب النفي فقال: (وما كان...) فنفى الكينونة من أصلها أي: هذا لا يكون أبدا .

ثم أتى بلفظ الجلالة (الله) في قوله: (وما كان الله ليجمعهم على ضلال) ، ولم يقل مثلًا: (وما كانوا ليجتمعوا على ضلال)؛ ليؤكد أن عدم اجتماعهم على ضلال هذا فعل الله وليس بفعلهم فهم مجبولون على الحق بتوجيه إلهي فهو سبحانه الذي يضعهم على الطريق الصحيح ، إذ التقدير: (وما كان الله مريدًا أن يجمعهم على ضلال) فهذا نظير قوله تعالى:"﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [2] خَبَرُ كَانَ مَحْذُوفٌ، وَاللَّامُ مُتَعَلِّقَةٌ بِذَلِكَ الْمَحْذُوفِ تَقْدِيرُهُ: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُرِيدًا لِأَنْ يُضِيعُ إِيمَانَكُمْ، وَهَذَا مُتَكَرِّرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَمِثْلُهُ: ﴿ لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ [3]"[4]

وآثر لفظ (ليجمعهم)؛ لأن هذه الكلمة تعني الاتفاق بعد التفرق ، كما تحمل معنى الشدة في الرأي، وإحكام النية والعزيمة. [5]

---

(١) في الميزان الجديد ص١٢٨ المؤلف: محمد مندور (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: يناير ٢٠٠٤م.

(٢) البقرة من الآية ١٤٣ .

(٣) النِّسَاءِ من الآية ١٣٧ .

(٤) التبيان في إعراب القرآن ج١ ص ١٢٤ المؤلف : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) المحقق : علي محمد البجاوي ـ الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٥) يقال: "جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة،... ورَجُلٌ جميعُ الرأْي ومُجْتَمِعُهُ : شديدُه لَيْسَ بمنْتشِره،... الإِجْماعُ إِحكامُ النيةِ والعَزيمةِ ينظر: لسان العرب ج٨ من ص ٥٣: ٥٧.

فإنهم اتفقوا وعزموا بنية صادقة وعزيمة قوية على اتباع الحق ، فلم يتفقوا على ضلالة أبدا، فإذا كانوا اجتمعوا على شيء فهو الحق المبين .

وعبر بلفظ (ضلال)؛ لأن" الضَّلالُ والضَّلالةُ: ضدُّ الهُدَى والرَّشـاد"[١] فإذا لم يجمعهم الله على ضلال فهم على الهدى والرشاد.

ثم قال: (ولا ليضربهم بالعمى) فقد آثر لفظ (ليضربهم) المؤكـد؛ لأن المتأمل للفظ (يضربهم) يجد فيه ما فيه من الشدة والارتطام والألم. [٢]

فقد نفى عنهم الضرب المؤكد بالعمى؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يـرد لهم الإيلام أبدًا ، لأنهم لا يجتمعون إلا على الحق، وعبر بلفظ (العمـى)؛ لأن " العَمَى: ذهابُ البَصَر كُلِّه"[٣] فهم ذوو بصـر وبصـيرة ممـا جعلهـم ينظرون إلى الأمور بحكمة ، ومن ثم لا يحيدون عن الطريـق الصـحيح ، والحق القويم، ولذا كان موقفهم سليمًا لا غبار عليه، ولا تشوبه شائبة.

وهكذا جاء رد سيدنا علي على كلام سيدنا معاوية تصويبًا لمغالطتـه ردًّا مدويًا مفحمًا، بما استخدمه من أساليب قوية ، وتراكيب مناسبة .

---

(١) لسان العرب ج١١ ص٣٩٠

(٢) يقال : ضَرَبَ الجُرْحُ ضَرَباناً وضَرَبه العِرْق ضَرَباناً إِذا آلَمَـهُ ، والضَّـارِبُ : المُتَحَـرِّك. والمَوْجُ يَضْطَرِبُ أَي يَضْرِبُ بعضُه بَعْضًا. لسان العرب ج١ ص٥٤٣ .

(٣) لسان العرب ج١٥ ص٩٥.

المبحث الثاني

علاقة الإسناد بين المغالطة وتصويبها

الإسناد في اللغة : تدور مادته حول الضم والنسبة والرفع والإضافة[١]

والإسناد في اصطلاح البلاغيين : ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى، بحيث يفيد أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى، أو منفي عنه، وصدقه : مطابقته للواقع، وكذبه: عدمها، وقيل: صدقه: مطابقته للاعتقاد، وكذبه: عدمها."[٢]

فالإسناد إذا طابق الواقع أو الاعتقاد كان صادقًا وإذا لم يطابق الواقع أو الاعتقاد كان كاذبًا. لذا نجد سيدنا معاوية يلجأ إلى المغالطة بأسلوب الإسناد ، ولكن هذا الإسناد جاء غير مطابق للواقع فكان نوعًا من التدليس والمداخنة، وذلك في قوله:

(وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كان شورى بين المسلمين)

فأسلوب المغالطة أنه أسند إرادة قتال سيدنا علي إلى أهل الشام؛ ليقول إنه أمر عام يستوي فيه أهل الشام كلهم ، فلا يرغبون في تركه، بل كلهم يصرون عليه، وكأنهم هم من حملوا سيدنا معاوية على قتاله لسيدنا علي، فالإسناد فيه معنى العموم والشمول، كما أنه ذكرأهل الشام مع

---

(١) ينظر: لسان العرب ج٣ص٢٢٣: ٢٢٠ . وينظر معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ ص ١١٧المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر.

(٢) التعريفات ص ٢٣المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر . الناشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ـ الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

المهاجرين والأنصار وهذه مغالطة أخرى، فكان كلامه هذا يحمل المغالطات، فهو حجة يحاول بها الإقناع بصحة اعتقاده، فهو يحاول إثبات كثرة المؤيدين له ليثبت صحة موقفه، وليثبت أحقيته في المطالبة بدم سيدنا عثمان .

والبناء التركيبي لأسلوب المغالطة أعانه على الوصول إلى هدفه، وذلك أنه بدأ بـ (قد) الداخلة عل الفعل الماضي (أبى) لإفادة تحقق الوقوع .

وعبر بالفعل (أبى) دون غيره كـ (رفض) مثلًا؛ لأن " أَبَى الشيءَ يَأْبَاه إِباءً وإِباءَةً: كَرِهَه... والإِبَاءُ: أَشدُّ الِامْتِنَاعِ "[١] فهو أراد القول بأنهم كرهوا أي شيء سوى القتال ، وامتنعوا امتناعًا شديدًا عن أي مفاوضة، ومما يؤكد ذلك قوله: (إلا قتالك) فلم يقل مثلًا: (أراد أهل الشام قتالك) أنه أراد القول أنهم يرفضون ويمتنعون بشدة عن أي شيء سوى القتال.

وعبر بالمصدر (قتالك) ولم يعبر بالفعل فلم يقل: (إلا يقاتلوك) وذلك لأمرين " أولًا: لأن في المصدر نوع تأكيد لا يؤدى به الفعل لو نطق به. وأما ثانيًا: فلأنه لو وجهه بالفعل كان مقيدًا بالزمان، وهو إذا كان موجهًا بالمصدر كان مطلقًا من غير زمان، فلهذا كان أبلغ من ذكر الفعل"[٢] وبناء الصيغة على المصدرية والإسمية ما يفيد تأكيد أنهم يريدون قتاله على جهة الثبوت والدوام، لا يملون ولا يكلون.

وقد قرن المصدر بكاف الخطاب فقال: (قتالك) ولم يقل: (إلا القتال)؛ ليفيد بأنهم أرادوا قتال سيدنا علي خاصة دون سواه؛ لأنهم مصدقون أنه هو المتورط في قتل سيدنا عثمان.

---

(١) ينظر: لسان العرب ج١٤ ص٥.

(٢) الطراز ج٣ ص١٣٤.

ثم عبر بـــ (حتى)؛ لأنها في أصل وضعها في التقييد بها إنما تكون في طول الزمن وامتداده، أرأيت كيف جاءت في قوله تعـــالى : ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ [1] حَتَّى غَايَةٌ لِلزَّلْزَالِ، أَيْ بَلَغَ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى غَايَةٍ يَقُولُ عِنْدَهَا الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ [2] ، انظر كيف دلـــت (حتى) هنا على طول مدة صبرهم وأمد انتظارهم الوقت الطويل الممتد حتى قالوا هذا .

فـــ (حتى) تدل على مثابرتهم وطـــول صـــبرهم وأنهـــم مســـتعدون لاستمرارهم في القتال حتى يتحقق لهم المراد.

ثم عبر بالفعل (تدفع) في قوله: (حتى تدفع إليهم قتلة عثمان) ولـــم يقل: (تسلم إليهم) مثلًا؛ لأن الفعل (يدفع) يحمل معنى القوة والشـــدة [3] فهو يريده أن يقوم بهذا الأمر بقوة وبشده من غير تهاون أو تأخير . وقال: (إليهم) لكي يوصل القتلة إلى محلهم ويسلمهم لهم حيث كانوا.

وقال: (قتلة عثمان) ولم يقل: (بالقتلة) فقط على اعتبار أن الكلام على سيدنا عثمان دون سواه ، فقد آثر ذكر اسم سيدنا عثمـــان ليحضـــره بشخصه أمام المتلقي ، وليميزه أكمل تمييز .

ثم جاء بالشرط (فإن فعلت كان شورى بين المسلمين) وقـــد بـــدأت جملة الشرط بالفاء ليحثه على المسارعة في تنفيذ المطلوب ، فأراد القـــول له إن فعلت ذلك على وجه السرعة بدون تراخ أو تمهل...

---

(١) البقرة آية ٢١٤ .

(٢) التحرير والتنوير .ج٢ ص٣١٦ .

(٣) الدَّفْع: الإزالة بِقُوَّةٍ... والدُّفْعةُ: مَا دُفع مِنْ سِقاء أَو إِناء فانْصَبَّ بمرَّة... والـــدُّفّاع: كَثْـــرَةُ الْمَاءِ وشدَّته. ينظر: لسان العرب ج٨ ص ٨٧-٨٨.

ولكنه أتى بـ (إن) الشرطية ولم يأت بـ (إذا)؛ لأن " إن إنما يكون ورودها في الأمور المحتملة المشكوك في وقوعها ... وأما إذا فإنما تستعمل في الأمور المحققة"[١] فهو أراد أن يقول: إنه يشك في قدرته على فعل ذلك.

ثم أتى جواب الشرط (كان شورى ...) فقد جعل الجواب ماضيًا لإفادة تحقق الوقوع ، وقوله: (شورى) يعنى بأخذ الرأي البين المستنير ممن تصح مشورتهم [٢]

وقال: (بين المسلمين) بتعريف المسلمين بـ (أل) ليشمل جنس المسلمين كلهم دون أن يستثني منهم أحدًا.

وبذلك أراد أن يقول: إنه حتى لو أحضرت قتلة عثمان ، ودفعت بهم إلى أهل الشام ، فلن نقر ببيعتك السابقة ، ولكن سنطرح الأمر بين يدي المسلمين وهم لهم الحل والعقد في ذلك ، إن شاءوا بايعوك وإلا فلا .

وقد استشهد سيدنا معاوية بأبيات يقرر بها كلامه ويثبت بها موقفه ، "وبالجملة فمذاهب الناس في التمثّل بالشّعر في المكاتبات الملوكيّة مختلفة، ومقاصدهم متباينة بحسب الأغراض"[٣] فقد ذكر أبياتًا لكعب بن جعيل[٤]يقول فيها:

---

(١) ينظر: الطراز ج ٣ ص ١٥٣.

(٢) اسْتَشَار أَمرُه إذا تبيَّن واسْتَنار.. وأَشار عَلَيْهِ بِأَمْرِ كَذَا: أَمَرَه بِهِ. وهيَ الشُّورَى والمَشُورَة... وَتَقُولُ مِنْهُ: شَاوَرْتُه فِي الأَمر واسْتشرته بِمَعْنًى. وَفُلَانٌ خَيِّرٌ شَيِّرٌ أَي: يصلُح لِلْمُشاورَة. ينظر: لسان العرب ج٤ من ص ١٣٥: ١٣٧.

(٣) صبح الأعشى ج٦ ص٢٩٩.

(٤) كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة التغلبي ، شاعر تغلب في عصره، مخضرم، عرف في الجاهلية والإسلام. كان لا ينزل بقوم إلا أكرموه وضربوا له قبة. أدركه الأخطل في صباه، وهاجاه. وكان في زمن معاوية. وشهد معه وقعة (صفّين) قال المرزباني: وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام، يمدحهم ويردّ عنهم" الأعلام ج ٥ ص ٢٢٥- ٢٢٦ المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى:١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر- أيار/مايو٢٠٠٢ م.

أرى الشأم تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهينا
وكلا لصاحبه مبغضاً يرى كل ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا

يقول الشاعر : أعلم أن أهل الشام لا يحبون أهل العراق ، وأهل العراق يبادلونهم نفس الشعور، فهم لا يحبون أهل الشام أيضًا ، كما أن أهل الشام يبغضون صاحب العراق وهو سيدنا علي ، وأهل العراق يبغضون صاحب الشام وهو سيدنا معاوية؛ وذلك لأنه" كان علي رضي الله عنه بالعراق ومعاوية بالشأم إلى سنة أربعين"[1] وهذا كله عادة كل فريق ، وشأنه المشغول به والملتزم به أيضا فيقول الشاعر: إذا بدأ هذا الفريق بمقاتلتنا قاتلناهم، وأسأنا إليهم مثل ما قد أساءوا إلينا ، فهذه الإساءة دين عليهم يجب الوفاء به .

فالشاعر كان ولاؤه لسيدنا معاوية، فهو شاعر معاوية وشاعر الشام ، وسيدنا معاوية استشهد بأبياته لتأييد المعنى السابق في المغالطة ، وقد جاء البناء التركيبي للأبيات ملائمًا لغرضه وذلك أنه بدأ بيته الأول بقوله: (أرى) " والرؤية هِيَ إِدْرَاك المرئي"[2] فهو يدرك ما يقوله جيدًا، وهو يرى ذلك رأي العين ، وأتى به على صورة الفعل المضارع لاستحضار المشهد؛ ولأنه يرى ذلك بصورة متجددة لا تنقطع.

(١) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة ص١٢٢المؤلف: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ) ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

(٢) الفروق اللغوية ج ١ص٧٦.

ثم قال (الشام) وهو يقصد أهل الشام فهو مجاز مرسل علاقته المحلية "تسمية الحال باسم محله كقوله تعالى:﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾[١] أي: أهل ناديه"[٢] فعبر بالمحل وأراد الحال فيه، وذلك فيه ما فيه من المبالغة؛ لأنه أراد القول بأنه ليس أهل الشام فقط، ولكن كل ما في الشام من إنسان وجماد وحيوان.

وقال: (تكره) بالفعل المضارع ليستحضر مشهد هذا الكره المتجدد الذي لا يزول ولا ينقطع.

وجعل هذا الكره (لملك العراق) فعبر (بملك) ولم يقل: أهل العراق مثلًا ؛ لأنه أراد القول إن هذا الكره ليس للأشخاص فقط وإنما الكره لكل ما يحويه العراق من سلطان وعز وجاه .

ولكن لما كان متحدثًا عن الكره من الجانب الآخر قال: (وأهل العراق لهم كارهينا) فعبر بأهل العراق؛ لأنه أراد القول بأن هذا الكره لا يتعدى الأشخاص، وقدم الجار والمجرور (لهم)؛ ليخصهم بهذا الكره، فهم يكرهون أهل الشام دون غيرهم .

وعبر بالاسم (كارهينا) لإفادة ثبوتهم على هذا الكره واستمرارهم فيه، فهم لا يتحولون عنه.

ثم قال في البيت الثاني (وكلا لصاحبه مبغضًا) على تقدير (وأرى كلا...) أي أن أهل الشام يكرهون صاحب العراق وهو سيدنا علي ، وأهل العراق يكرهون صاحب الشام وهو سيدنا معاوية ، أو يكون مراده بأن سيدنا على وسيدنا معاوية ، كلا منهما يبغض الآخر .

---

(١) العلق آية ١٧.

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ج٣ ص١٧٠المؤلف: عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب ـ الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

وقدم الجار والمجرور (لصاحبه) للتخصيص ، فهو يخص صاحبه بهذا البغض دون غيره.

وقال: (مبغضًا) ولم يقل: (كارهًا)؛ لأن " البُغْض والبِغْضةُ: نَقِيضُ الْحُبِّ... وبَغَّضَه اللهُ إِلى النَّاسِ تَبْغِيضًا فأَبْغَضُوه أَي مَقَتُوه"[١] "و الْفرق بَين الْكَرَاهَة والبغض:

أَنه قد اتسع بالبغض مَا لم يَتَّسِع بِالْكَرَاهَةِ فَقيل: أبغض زيدًا أَي أبْغض إكرامه ونفعه ولَا يُقَال: أكره بِهَذَا الْمَعْنى كَمَا اتَّسع بِلَفْظ الْمحبَّة فَقيل: أحب زيدًا بِمَعْنى أحب إكرامه ونفعة ولَا يُقَال: أريده فِي هَذَا الْمَعْنى، وَمَعَ هَذَا فَإِن الْكَرَاهَة تسْتَعْمل فِي مَا لَا يسْتَعْمل فِيهِ البغض فَيُقَال: أكره هَذَا الطَّعَام ولَا يُقَال: أبغضه، كَمَا تَقول: أحبه، وَالْمرَاد أَنِّي أكره أكله كَمَا أَن المُرَاد بِقَوْلِك: أُرِيد هَذَا الطَّعَام أَنَّك تُرِيدُ أكله أَو شِرَاءَهُ"[٢] فالبغض هو الكره الشديد والمقت ولذا عبر به؛ لأنه أراد هذا المعنى.

ثم قال: (يرى كل ما كان من ذاك ديناً) عبر بالفعل المضارع (يرى)؛ لأن كلا منهما يرى بصفة متجددة لا تنقطع .

وقال: (كل ما كان) بالتعبير بـ (كل) لإفادة الشمول والعموم، وسلط لفظ العموم (كل)على الاسم الموصول (ما) للتفخيم والتهويل من شأن ما كان، وذلك مثل قوله تعالى:﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾[٣]"[٤]، وكذلك ليذهب الذهن كل مذهب في تخيل ما كان .

---

(١) لسان العرب ج٧ ص١٢١.

(٢) الفروق اللغوية ج١ ص١٢٩.

(٣) النجم آية ٥٤.

(٤) ينظر: الإيضاح ج٢ ص١٩٦.

وقال: (من ذاك) باستخدام اسم الإشارة(ذاك) مشيرًا به إلى ما كان "لتمييزه أكمل تمييز لصحة إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة حسًّا"[١]

وقال : (دينًا) [٢] لأن هذا الفعل عادتهم وشأنهم فقد ألزموا أنفسهم به ، فلن يحيدوا عنه .

ثم جاء في البيت الثالث بالشرط (إذا ما رمونا رميناهم) وجعل أداة الشرط (إذا) وأدخلها على الفعل الماضي لإفادة تحقق الوقوع فالرمي من جانبهم محقق واقع .

وجاء جواب الشرط ماضيًا أيضًا لإفادة تحقق الوقوع من الجانب الآخر، إذ يستحيل أن يكون هناك رمي من جانب ولا يقابله رمي من الجانب الآخر.

وعبر بالرمي دون غيره؛ لأنه أراد كل ما تحمله هذه الكلمة من معان فـ "رَمى يَرْمِي رَمْياً فَهُوَ رامٍ... وَيُقَالُ: طَعَنه فأَرْمَاه عَنْ فَرسه أَي أَلقاه عَنْ ظَهْرِ دَابَّتِهِ... والرِّماءُ: المُراماةُ بالنَّبْلِ"[٣] " وَالرَّمْيُ حَقِيقَتُهُ إِلْقَاءُ شَيْءٍ أَمْسَكَتْهُ الْيَدُ، وَيُطْلَقُ الرَّمْيُ عَلَى الْإِصَابَةِ بِسُوءٍ مِنْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ"[٤] فهو أراد القول أنهم إذا رمونا بأي شيء كان سواء أكان تراشقًا بالنبال أو قولًا سيئًا أو أي فعل لا نرتضيه ، رميناهم بمثله.

---

(١) الإيضاح ج٢ ص ١٨.

(٢) الدِّينُ :الْعَادَةُ والشأْن، تَقُولُ الْعَرَبُ :مَا زالَ ذَلِكَ دِينِي ودَيْدَنِي أَي عَادَتِي . لسان العرب ج١٣ ص١٦٩

(٣) ينظر: لسان العرب ج١٤ ص٣٣٥.

(٤) التحرير والتنوير ج ٩ ص٢٩٥.

ثم عطف الشطر الثاني بالواو فقال: (ودناهم مثل ما يقرضونا) ليجمع لهم بين الأمرين، فهم لم يردوا لهم الرمي فقط ، بل ويطالبونهم أيضًا بالدين الذي عليهم أي: ما قدموه من إساءة ، ليردوه مقهورين .

وعبر (بمثل)؛ ليقول: إن المجازاة ستكون من جنس عملهم ، وأنهم قادرون على المجازة بالمثل لأنهم ليسوا بأضعف ولا أقل منهم عدة وعتادًا.

وعبر بالاسم الموصول وصلته (ما يقرضونا)؛ " لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة بالمسند إليه سوى الصلة" [1]؛ لأنه لا يعرف ما سوف يرمونهم به ، ولكن في كل الأحوال هم جاهزون للرد.

وقال: (يقرضونا)؛ لأن " القَرْضُ والقِرْضُ: مَا يَتَجازَى بِهِ النَاسُ بَيْنَهُمْ ويَتَقاضَوْنَه، وَجَمْعُهُ قرُوضٌ، وَهُوَ مَا أَسْلَفَه مِنْ إِحسانٍ وَمِنْ إِساءة، وَهُوَ عَلَى التَّشْبِيهِ... وكلُّ أَمْرٍ يَتَجازَى بِهِ الناسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَهُوَ مِنَ القُروضِ.... والمُقارَضةُ: تَكُونُ فِي العَمَلِ السَّيِءِ والقَوْلِ السَّيِءِ يَقْصِدُ الإِنسان بِهِ صاحِبَه"[2] فهم سيطالبونهم بقضاء ما عليهم من دين، وسيجعلونهم يردونه صاغرين.

وهكذا جاءت الأبيات ببنائها التركيبي المحكم معبرة أتم تعبير عما يريد ، كما أنها تثبت وتقرر المغالطات التي أتى بها سيدنا معاوية في كلامه.

ولكن سيدنا علي درس الموقف جيدًا ، للإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه ، ولذا كان جاهزًا لتفنيد هذه المغالطات ، وتلك الأباطيل والمزاعم التي أتى بها سيدنا معاوية في رسالته ، فرد عليه الرد المفحم الذي صوب به هذه المغالطات فقال: (فما أنت وعثمان إنما أنت رجل من بني أمية،

---

(١) الإيضاح ج٢ ص ١٩٦.

(٢) ينظر : لسان العرب ج٧ ص٢١٧.

وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه، فإن زعمت أنك أقوى على ذلك، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إلي)

فبدأ سيدنا علي بنفي المشابهة في الإسناد حيث بدأ بهذا الاستفهام (فما أنت وعثمان) وقد آثر سيدنا علي الاستفهام؛ لأنه" ينقل أدق المشاعر وأعمق الأحاسيس ، ويبث أخفى الخواطر والهواجس ، باعثًا في نفس المتلقي شتى الإيحاءات المتوهجة المتداخلة "[١]

وقوله: (فما أنت وعثمان) على تقدير (ما أنت وما عثمان) أو (ما شأنك وعثمان) وتفسير ذلك قول المبرد: "وأما قوله:" فما أنت وعثمان" فالرفع فيه الوجه؛ لأنه عطف اسمًا ظاهرًا على اسم مضمر منفصل وأجراه مجراه، وليس ههنا فعل، فيحمل على المفعول، فكأنه قال: فما أنت وما عثمان، هذا تقديره في العربية، ومعناه لست منه في شيء، قد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازًا حسنًا وجعله مفعولاً معه، وأضمر كان من أجل الاستفهام، فتقديره عنده: ما كنت وفلانًا ... فإن كان الأول مضمرًا متصلاً كان النصب، لئلا يحمل ظاهر على مضمر، تقول: ما لك وزيداً وذلك أنه أضمر الفعل، فكأنه قال في التقدير: وملابستك زيداً.

وفي النحو تقديره: مع زيد. وإنما صلح الإضمار؛ لأن المعنى عليه إذا قلت: ما لك وزيدًا فإنما تنهاه عن ملابسته، إذا لم يجز" وزيدٍ "وأضمرت؛ لأن حروف الاستفهام للأفعال، فلو كان الفعل ظاهرًا لكان على غير إضمار، نحو قولك: ما زلت وعبد الله حتى فعل؛ لأنه ليس يريد: ما زلت وما زال عبد الله، ولكنه أراد: وما زلت بعبد الله. فكان المفعول مخفوضًا بالياء،

(١) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ص ١٠٧ المؤلف د/ صباح دراز ــ مطبعة الأمانة ط٦ ــ ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦ م.

فلما زال ما خفضه وصل الفعل إليه فنصبه، كما قال تعالى﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾[١] .

فالواو في معنى مع، وليست بخافضة، فكان ما بعدها على الموضع،... ولو قلت: ما شأنك وزيدًا لاختير النصب؛ لأن زيدًا لا يلتبس بالشأن؛ لأن المعطوف على الشيء أبدًا في مثل حاله، ولو قلت: ما شانك وشأن زيد لرفعت؛ لأن الشأن يعطف على الشأن، وهذه الآية تفسر على وجهين من الإعراب: أحدهما هذا، وهو الأجود فيها وهو قوله عز وجل: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ [٢] . فالمعنى والله أعلم: مع شركائكم؛ لأنك تقول : جمعت قومي، وأجمعت أمري، ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه؛ لأن المعنى يرجع إلى شيء واحد ... وهذا بين."[٣]

فسيدنا علي أراد القول لسيدنا معاوية: إنك لست لك شأن بعثمان؛ لأنك لم تنصره في حياته واكتفيت بالمطالبة بدمه بعد موته، ومما يؤكد ذلك " دخل أبو الطّفيل عامر بن واثلة الكناني على معاوية فقال له: أنت من قتلة عثمان؟ قال: لا ولكني ممن حضره فلم ينصره، قال: وما منعك من نصره؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار؛ قال معاوية: لقد كان حقّه واجبًا وكان يجب عليهم أن ينصروه، قال :فما منعك يا أمير المؤمنين من

(١) الأعراف آية ١٥٥.

(٢) يونس من الآية٧١.

(٣) ينظر : الكامل ج١ ص٢٦٤.

نصرته ومعك أهل الشام؟ قال: أو ما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك عامر وقال: أنت والله وعثمان كقوله[١] : من البسيط

لا أعرفنّك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زوّدتني زادي[٢]

والبيت صار مثلًا" يضرب لمنْ يُضَيع أخاه في حياتهِ ثُمَ بَكاه بعد موته"[٣]

وهذا ما فعله سيدنا معاوية، ثم أخذ يطالب بدم سيدنا عثمان ، مدعيًا أنه أولى الناس بالمطالبة بدمه ، ولكن سيدنا علي من خلال دراسته للموقف صوب هذه المغالطة بقوله له: (فما أنت وعثمان) .

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص. ينظر ديوان عبيد بن الأبرص شرح أشرف أحمد عدرة – الناشر دار الكتاب العربي – بيروت –لبنان –الطبعة الأولى ١٤١٤ ١٩٩٤ وينظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ص ٢٧١المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٩٧١ م. و الدر الفريد وبيت القصيد ج١١ ص١٠٦المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ – ٧١٠ هـ) المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م. و خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ج١١ ص٢٥٦ المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ –١٩٩٧ م

(٢) التذكرة الحمدونية ج٧ ص٢١٧ المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ) الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

(٣) مجمع الأمثال ج٢ ص٢٤٨ المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: دار المعرفة – بيروت، لبنان.

وقد جاء الاستفهام رادعًا له ، ولذا آثره فلم يقل له: هذا ليس من شأنك ، بل جاء بالاستفهام ليقرر الموقف ويثبته، باعثا في نفس المتلقي شتى الإيحاءات كما مر ذكره.

ثم أتى بأسلوب القصر في قوله: (إنما أنت رجل من بني أمية) فأسلوب القصر أكد الكلام ودلل على صحته؛ لأن القصر " ليس إلا تأكيدًا للحكم على تأكيد"(١) وكان طريق القصر (إنما) التي تستخدم في الأمور الواضحة الجلية ، فكونه من بني أمية شيء يعرفه الجميع ، فكان هذا أدعى لترك المطالبة بدم عثمان؛ لأن هذا ليس من شأنه.

ثم قال: (وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه) فجعل بني عثمان هم الأحق بالمطالبة بدمه ، ولكن التفضيل هنا ليس معناه اشتراكهما في هذا الحق ، فهو ليس له حق على الإطلاق فهو بعيد كل البعد عن هذا الحق.

و" قد ذهب قوم إلى منع المفاضلة بين المعنيين المختلفين، واحتجوا على ذلك بأن قالوا: المفاضلة بين الكلامين لا تكون إلا باشتراكهما في المعنى؛ فإن اعتبار التأليف في نظم الألفاظ لا يكون إلا باعتبار المعاني المندرجة تحتها؛ فما لم يكن بين الكلامين اشتراك في المعنى حتى يعلم مواقع النظم في قوة ذلك المعنى أو ضعفه واتّساق ذلك اللفظ أو اضطرابه، وإلّا فكلّ كلام له تأليف يخصه بحسب المعنى المندرج تحته، وهذا مثل قولنا: العسل أحلى من الخل؛ فإنه ليس في الخل حلاوة حتى تقاس حلاوة العسل عليها.

وهذا القول فاسد؛ فإنه لو كان ما ذهب إليه هؤلاء من منع المفاضلة حقًّا لوجب أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام ورديئه وحسنه وقبيحه، وهذا

(١) مفتاح العلوم ج١ ص٢٩١.

محال، وإنما خفي عليهم ذلك؛ لأنهم لم ينظروا إلى الأصل الذي تقع المفاضلة فيه، سواء اتفقت المعاني أو اختلفت، ومن ههنا وقع لهم الغلط"[١]

ثم أراد سيدنا علي أن يلزم سيدنا معاوية بالحجة ضد مغالطته فأتى بهذا الشرط (فإن زعمت أنك أقوى على ذلك، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إلي) فسيدنا علي يحاول النفاذ إلى نفس المتلقي ليخرج كل ما لديه ، ويجعله يعلن نفاد أسلحته الدفاعية . والبناء التركيبي لجملة الشرط أعانه على ذلك.

فقد بدأ هذا الشرط (بإن) الشرطية وهي- كما سبق القول - تستخدم في الشرط المشكوك في حدوثه ، ليقول له بداية إنني أشك في قدرتك على ذلك.

ثم أتى بكلمة (زعمت) وهي المرة الثانية التي يستخدم فيها سيدنا علي هذه الكلمة ؛ لأنها كما سبق القول كلمة مطاطية لا تعني الصدق أو الكذب ، فهو لا يريد أن يكذبه بالقول ، ولكنه يترك المواقف هي التي تثبت كذبه ليلزمه بالحجة.

ثم قال: (أنك أقوى) باستخدام هذه الجملة المؤكدة بأكثر من مؤكد فهي مؤكدة بأن والاسمية ليؤكد كلامه ، بالإضافة إلى استخدام أفعل التفضيل (أقوى) ليقول له: إن كنت تدعي أنك أقوى من بني عثمان على المطالبة بدمه...

ثم قال: (على ذلك) باستخدام حرف الجر (على)؛ لأن الأمر فيه ثقل ومشقة .

---

(١) المثل السائر ج٣ ص ٢٧٠ -٣٧١.

وعبر باسم الإشارة (ذلك) مشيرًا به إلى المطالبة بدم سيدنا عثمان ، أى: إن كنت أقوى من بني عثمان ، وأنك الأحق بالمطالبة بدمه...، وجعل اسم الإشارة للبعيد ليوحي ببعد هذه المنزلة وهي المطالبة بدم سيدنا عثمان.

ثم جاء جواب الشرط (فادخل) وجعل الجواب بالفاء ودخولها على الفعل الأمر للمسارعة في الدخول ، أي ادخل بسرعة من غير تراخ ولا تقاعس.

ثم قال: (فيما دخل فيه المسلمون) باستخدام حرف الجر (في) ليقول له: ادخل بعمق بكل كيانك واعتقادك ، فهو يدعوه إلى مبايعته والدخول في طاعته بكامل إرادته.

واستخدم اسم الموصول (ما)؛ ليفيد العموم والشمول، أي ادخل في كل ما دخل فيه المسلمون من البيعة والطاعة والولاء؛ لأنهم أجمعوا على ذلك ، بدليل قوله: (فيما دخل فيه المسلمون) بتعريف "المسلمون" (بأل) الجنسية ليشمل جنس المسلمين؛ لأنهم اتفقوا على هذا الأمر وأجمعوا عليه، ولم يقل فيما دخل المسلمون ولكن قال: (فيما دخل فيه المسلمون) باستخدام حرف الجر (في)؛ لأنهم داخلون في هذا الأمر بكل قوتهم وبكامل معتقدهم.

ثم قال: (ثم حاكم القوم إلي) فهو يقول له: إنه يجب عليه الإقرار بالبيعة أولًا " لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه. وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه، فيقوم له عذر في الدنيا"[1]

(١) العواصم من القواصم ج١ ص١٦٤.

وقد استخدم (ثم) التي للتراخي؛ لأنه يريده بعدما يدخل فيما دخل فيه المسلمون أن يتمهل ويصبر حتى تستقر الدولة ، ثم يفعل ما يشاء .

وقال: (حاكم)؛ لأن "الحُكْم في اللغة له عدة معان منها: العِلْمُ وَالْفِقْهُ وَالْقَضَاءُ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ مَصْدَرُ حَكَمَ يَحْكُمُ"[١] "وحاكمته إلى القاضي: رافعته. وتحاكمنا إليه واحتكمنا. وهو يتولّى الحكومات، ويفصل الخصومات"[٢]

فسيدنا علي يريد من سيدنا معاوية أن يترك له أمر المحاكمة والفصل في الخصومة والنزاع؛ لأنه من يتولى أمر المسلمين .

وقال: (القوم)؛ لأنه لن يحاكم أي أحد ، ولكن يحاكم من اكتملت قوميتهم فهم مسؤولون عن قرارهم .

وقال: (إلي)؛ لأنه الوحيد الذي يجب أن ينتهي إليه أمر المحاكمة .

وبذلك يكون سيدنا علي قد صوب مغالطة سيدنا معاوية بنفي الإسناد، وإلزامه بالحجة ضد مغالطته، فقد أخذ ينتقل من عبارة إلى أخرى بطريقة متقنة ليحيط بالموضوع من جميع جوانبه ، فلم يترك له شيئًا من مغالطته وأكاذيبه إلا صوبه بالدليل القاطع الجازم.

---

(١) لسان العرب ج١٢ ص١٤١.

(٢) أساس البلاغة ج١ ص٢٠٦ المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

المبحث الثالث

علاقة القياس التمثيلي بين المغالطة وتصويبها

القياس في اللغة : من قاسَ الشَّيْءَ يَقيسُه قَيْسًا وَقِيَاسًا واقْتاسه وقَيَّسه إِذا قدَّره عَلَى مِثَالِ[١]

وهو" قول مؤلف من مقدمات وقضايا إذا كانت مسلمة ورتبت الترتيب الذي يجب في القياس الصحيح لزم عن ذلك القول المرتب لذاته قول آخر يسمى نتيجة" [٢]

"وليس يجب القياس إلا عن قول يتقدم فيكون القياس نتيجة كقولنا : إذا كان الحي حساسًا متحركًا فالإنسان"[٣]

"فإذا كان القياس صحيحًا انتهى إلى إفحام مناظرنا، ولا أقول إلى إقناعه؛ لأن الإقناع إحساس وتسليم قلبي، وأما الإفحام فانعقاد للسان أو شلل للعقل، وهذا هو الجدل، وإذا كان القياس فاسدًا فتلك هي السفسطة التي لا تقنع ولا تفحم ولا تليق بالإنسان على أي نحو"[٤]

فالمتكلم يلجأ إلى القياس ليحاول إقناع المتلقي بدليل مشاهد ، ومن ثم لا يملك إلا التسليم للمتكلم ، والاقتناع بكلامه.

والقياس بالتمثيل يكون أوقع أثرًا على المتلقي؛ لأنه يرفع من أقدار الكلام ، ويحرك النفوس ، وقد تكلم الشيخ عبد القاهر عن أثر التمثيل في الكلام وما يفعله بالنفوس فقال : "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن

---

(١) لسان العرب ج٦ ص١٨٧.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢٠.

(٣) البرهان في وجوه البيان ص ٦٨.

(٤) في الميزان الجديد ص١٢٨.

التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورته الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وأكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفًا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفًا " [١] ، ثم يقول عن الاحتجاج بالتمثيل : " وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر "[٢]

وسيدنا معاوية بنى مغالطته على القياس التمثيلي في كلامه في محاولة منه لإثبات مغالطته، وإقناع خصمه بها حيث قال: (ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير؛ لأنهما بايعاك ولم أبايعك. وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة؛ لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام) .

فسيدنا معاوية ما زال ينتهج نهج المغالطة في كلامه، ويأتي بالأباطيل في محاولة منه لإثبات كلامه وتقرير موقفه، ولكن هذه المرة يبني مغالطته على القياس التمثيلي ، فهو يأتي بالأساليب القوية الأسلوب تلو الأخر، ليتلاعب بخصمه و" يرتبط الإقناع ارتباطًا وثيقًا بالتلاعب لدرجة يصعب معها على الناس عادة التمييز بينهما، ولا بد من توافر معظم عناصر التلاعب حتى تنجح عملية الإقناع " [٣]

---

(١) أسرار البلاغة ١٤٦.

(٢) السابق ١٤٧.

(٣) أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ص ٢٩ تأليف الشيخ طه عبد الله محمد السبعاوي ــ منشورات محمد علي بيضون ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان .

فقد بني مغالطته عل القياس التمثيلي القائم على نفي المشابهة بينه وبين طلحة والزبير أولًا، ثم نفي المشابهة بين أهل الشام وأهل البصرة ثانيًا، وهذه تمويهات يحاول بها إلهاء خصمه "والتمويهات تكون بطي محل الكذب من القياس عن السامع، أو باغتراره إياه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباهها بما يكون صدقًا، أو بترتيبه على وضع يوهم أنه صحيح لاشتباهه بالصحيح، أو بوجود الأمرين معًا في القياس أعني أن يقع فيه الخلل من جهتي المادة والترتيب معًا، أو بإلهاء السامع عن تفقد موضع الكذب وإن كان إلى حيز الوضوح أقرب منه إلى حيز الخفاء بضروب من الإبداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محل الكذب والخلل الواقع في القياس من جهة مادة أو من جهة ترتيب أو من جهة المادة والترتيب معًا"(١)

فقال مخاطبًا سيدنا علي: (ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير؛ لأنهما بايعاك ولم أبايعك) فهو ينفي المشابهة بينه وبين طلحة والزبير أما " موقف طلحة والزبير من علي ... لم يختلف الناس في بيعتهما له، ولا أنكر ذلك الزبير يوم واقفه عليّ بالبصرة وقد أقرّ بها طلحة ثمّ ادّعى الإكراه؛ ففي واجب الحكم أن يقضي عليه بإقراره وأن يسأل البيّنة على دعواه "(٢)

فقد نفى سيدنا معاوية المشابهة؛ لأنه لم يبايع سيدنا علي أصلًا ، وسيدنا علي " لا يستطيع أن يدّعي على معاوية عقد بيعة ولا على أصحابه

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص١٩.

(٢) الرسائل السياسية ص ٣٨٣ المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت.

نكثًا"[١] أما طلحة والزبير فقد بايعاه ثم نقضا بيعتهما، وكتب عليّ إلى معاوية بعد وقعة الجمل كتابًا جاء فيه " وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتهما، وكان نقضهما كردّتهما فجاهدتهما بعد ما أعذرت إليهما، حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون؛ فادخل فيما دخل فيه المسلمون؛ فإن أحب الأمور إليّ قبولك العافية. وقد أكثرت في قتلة عثمان، فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكمت القوم إليّ، حملتك وإياهم على كتاب الله؛ وأما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن. ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك، لتجدنّني أبرأ قريش من دم عثمان."[٢]

فقد أراد سيدنا معاوية القول إنه ليس كأحد فهو لم يبايع ؛ لأنه – كما يدعي – يحمل على عاتقه المطالبة بدم سيدنا عثمان فلا يستطيع سيدنا علي أن يقيم الحجة عليه؛ لأنه يستثنى من كل ذلك .

وقد جاء البناء التركيبي لأسلوب المغالطة مؤكدًا ذلك ، فقد بدأ بالحلف بحياته فقال: (لعمري) وهي المرة الثانية التي يحلف فيها بحياته في محاولة منه لتأكيد كلامه بالحلف .

ثم قال: (ما حجتك علي) فقد سلط النفي على المصدر ليؤكد نفي أي حجة يمكن أن يحتج بها سيدنا علي.

وعبر بكلمة (حجة)؛ لأن الحُجَّة :البُرْهان؛ وهو ما يكون به الظفر عند الخصومة، والغلبة على الخصم. [٣]

---

(١) الرسائل السياسية ص ٣٨٣.

(٢) العقد الفريد ج٥ ص٨٠.

(٣) الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه. لسان العرب ج٢ ص ٢٢٨.

فقد أراد القول لسيدنا علي: إنك لا تملك الدليل والبرهان الذي يمكنك من منازعتي؛ لأنني مختلف.

وقال: (علي) بالتعبير بـ (على) التي تفيد الاستعلاء وأضافها إلى (ياء) المتكلم ؛ ليقول إنك لا تستطيع أن تستعلي علي بحجتك وتقهرني.

ثم قال: (كحجتك) فأتى بكاف التشبيه لينفي المشابهة بين الحجتين ، وكرر لفظ (حجتك) المضافة إلى كاف الخطاب ، ليؤكد نفي الحجة نفسها التي احتج هو نفسه بها ، ويقرر ثبوته على نفي المشابهة في الموقفين اللذين قد يظن الظان أنهما متشابهان .

وقال: (على طلحة والزبير) بذكرهما بأسمائهما فلم يقل: (كحجتك على غيري) مثلًا ، ليميزهما أكمل تمييز باستحضارهما بشخصيهما أمام المتكلم؛ لأنه أراد نفي المشابهة بينه وبين هذين الرجلين دون غيرهما ممن لم يبايع من البداية .

ثم قال: (لأنهما بايعاك ولم أبايعك) فقد أتى بهذه الجملة ليعلل بها نفي المشابهة ، وصدرت هذه الجملة بـ (لأن) وهي أداة تعليل مركبة من (اللام) و(أن) "وتعد (لأن) من ألفاظ التعليل بل من أهمها فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه وتستعمل لتبرير الفعل، كما تستخدم لتبرير عدمه"[1] فقد أراد سيدنا معاوية أن يبرر نفيه للمشابهة ، فأتى بهذا التعليل بـ (لأن) ؛ ليقنع المتلقي بكلامه ، بما لا يدع في نفسه مجالًا للشك .

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ٤٧٨ المؤلف عبد الهادي بن ظافر الشهري ١٣٨٥-١٩٦٥ ، الناشر دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ – ٢٠٠٤م.

ثم قال: (بايعاك ولم أبايعك) فقد أراد القول أنهما بايعا في البداية ثم نقضا بيعتهما ، فله – أي سيدنا علي – أن يقيم عليهما الحجة ، أما سيدنا معاوية فإنه لم يبايع أصلًا ، فهو قد رفض البيعة من أول الأمر ولم يعترف بأحقية سيدنا علي بها ، وهذه المطابقة بالسلب بين (بايعاك ولم أبايعك) زادت المعنى قوة ووضوحًا ، وبينت أن موقفه على النقيض تمامًا من موقفيهما .

ثم قال: (وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة) سيدنا معاوية للمرة الثانية ينفي المشابهة ، ولكنه تدرج في نفي المشابهة فجعلها أولا خاصة بينه وبين طلحة والزبير ثم نفى المشابهة العامة بين أهل الشام جميعا وأهل البصر... وكأنه بذلك يريد أن يتوسع في دائرة القياس من الخاص إلى العام على سبيل المغالطة في تأكيد حقه في عدم الإقرار بخلافة سيدنا علي بن أبي طالب.. وهذه المرة ينفي المشابهة بين أهل الشام وأهل البصرة ، فأهل الشام كان ولاؤهم لسيدنا معاوية ، وأهل البصرة كان ولاؤهم لسيدنا علي .

وليؤكد نفي هذه المشابهة أتى بجملة معللة بـــ (اللام وأن) للمرة الثانية فقال: (لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام) وقد بنى جملته هذه على طباق السلب أيضًا بين (أطاعوك ، ولم يطعك) وهذا الطباق بالسلب أكد نفي المشابهة بين أهل الشام وأهل البصرة ، فقد أظهر الطباق صورة الطاعة من جانب يقابلها عدم الطاعة من الجانب الآخر ، فالفريقان متضادان ، لا يجتمعان ولا يتوافقان .

وعبر بلفظ (الطاعة) دون غيره ليوحي بالانقياد التام من جانب أهل البصرة ، وعدم الانقياد التام من جانب أهل الشام .

والملاحظ في كلام سيدنا معاوية السابق كثرة التكرار، والتكرار " هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد"(١) ، فقد كرر لفظ (حجتك) أربع مرات، وكرر (أهل الشام وأهل البصرة) مرتين ، كما كرر في قوله: (بايعاك ولم أبايعك) وكان يمكن أن يقال بايعاك ولم أفعل ، وكرر حرف الجر (على) الذي يوحي بثقل كل ذلك على نفسه، وغير ذلك ، فجاء في كلامه بكثرة التكرار " وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه"(٢)

وقد جاء في الكثير من كتب البلاغة أن التكرار قد يعد عيبًا يخل بفصاحة الكلام ، قال ابن سنان " وما أعرف شيئًا يقدح في الفصاحة ويغض من طلاوتها أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه وصيانة نسجه عنه"(٣)

و" من الناس من شرط في فصاحة الكلام أن يكون خاليًا من كثرة التكرار"(٤)

والتكرار قد يكون مفيدًا في بعض الأحيان كما قال ابن الأثير: " واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدًا له، وتشييدًا من أمره، وإنما

(١) تحرير التحبير ص ٣٧٥ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ج٢ ص ٧٣ – ٧٤ المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ـ الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٣) سر الفصاحة ص ١٠٦.

(٤) عروس الأفراح ج١ ص٨٤.

يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك"[١]

ومن الواضح أن سيدنا معاوية لجأ إلى التكرار لحاجة في نفسه، فقد أراد أن يسلط الضوء على بعض النقاط الكامنة في نفسه، والتي يريد إبرازها للمتكلم " إن أبسط قاعدة نستطيع أن نصوغها بالاستقراء ونستفيد منها هي أن التكرار، في حقيقته، إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها أحدهم أكثر من عنايته بسواها. وهذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامنًا في كل تكرار يخطر على البال. فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه"[٢]

فسيدنا معاوية مصر على إثبات صحة موقفه في عدم الولاء لسيدنا علي ، كما يحاول إثبات صحة موقفه من قتل سيدنا عثمان ، ويحاول إثبات كثرة أنصاره المؤيدين له ، كل ذلك يتردد في جنبات نفسه القلقة ، التي أوقعته في الحيرة والتشتت، فتكدر صفوه ، فهو يحاول إظهار موقفه بشتى الطرق ، فلجأ إلى التكرار كوسيلة من الوسائل التي تثبت إصراره على موقفه، كما أنه يحاول إلهاء خصمه وتشتيته ، بالإصرار على هذه الأكاذيب، والإلحاح على تلك الأباطيل التي يغالط بها .

وهذا أيضًا ما دفعه إلى الاستشهاد بشعر كعب بن جعيل الذي يحاول به إثبات صحة موقفه ، ونفي المشابهة التي اتخذها كأسلوب من أساليب المغالطة ، والذي يقول فيه:

---

(١) المثل السائر ج٣ ص٤.

(٢) قضايا الشعر المعاصر ص ٢٧٦ تأليف: نازك صادق الملائكة (المتوفى: ١٤٢٨هـ) الناشر: دار العلم للملايين، بيروت – لبنان الطبعة: الخامسة .

فقالوا : علي إمامٌ لنا فقلنا :رضينا ابن هند رضينا

وقالوا :نرى أن تدينوا له فقلنا :ألا لا نرى أن ندينا

ومن دون ذلك خرط القتاد وضربٌ وطعنٌ يقر العيونا

فهذه الأبيات ينفي بها المشابهة بين أهل البصرة وأهل الشام فيقول: إن أهل البصرة رضوا بسيدنا علي كإمام لهم يتولى أمرهم ، فهم بايعوه على ذلك ، لكن أهل الشام لم يرتضوا بذلك، بل ارتضوا بسيدنا معاوية وثبتوا على موقفهم، ولم يقبلوا أن يدينوا بالولاء لأحد غيره، ويرون أن ذلك من المستحيلات، فهم لن يستسلموا؛ بل سوف يقاتلون للنهاية حتى تقر أعينهم.

فسيدنا معاوية بذكره لهذه الأبيات يؤكد نفي المشابهة بين أهل البصرة وأهل الشام ، ومن هنا لا يحق لسيدنا علي أن يقيم عليه الحجة ولا عليهم ، فهو في كل مرة يحاول أن يعرض أحداثا وأسماء لها وقعها وتأثيرها على المتلقي ، ليعجز خصمه عن الرد ويفحمه.

والأبيات جاءت على طريقة الترجيع والمحاورة "والترجيع تفعيل من قولك: رجّعت الشيء إذا رددته، ويسمى الترجيع رجيعًا، وهو ما يخرج من بطن ابن آدم؛ لأنه يتردد فيه، ويقال للسماء: ذات الرجع؛ لأن المطر يتردد في نزولها منها. وهو في مصطلح علماء البيان عبارة عن أن يحكى المتكلم مراجعة في القول ومحاورة جرت بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأخصر لفظ فينزل في البلاغة أحسن المنازل وأعجب المواقع"[1] فلقد التقى الفريقان وتحاورا والشاعر يحكي هذه المحاورة بلفظ الماضي بدليل قول: (قالوا ... فقلنا) لإثبات تحقق وقوع هذه المحاورة " الْقَوْلَ الَّذِي تُحْكَى بِهِ الْمُحَاوَرَاتُ

(١) الطراز ج٣ ص٨٤

لَا يُلْتَزَمُ فِيهِ مُرَاعَاةُ صِيغَتِهِ لِزَمَانِ وُقُوعِهِ لِأَنَّ زَمَانَ الْوُقُوعِ يَكُونُ قَدْ تَعَيَّنَ بِقَرِينَةِ سِيَاقِ الْمُحَاوَرَةِ"[١]

والضمير في (قالوا) لأهل البصرة ، فهم يدينون لسيدنا علي ويرتضونه إمامًا لهم، فقد قالوا (علي إمام لنا) وقد جاءت الجملة في ثوب الاسمية ليفيد ثبوت ذلك الأمر ودوامه ، فهو إمامهم على جهة الثبوت والدوام ، ولا يستطيع أحد تغيير ذلك.

وذكر (علي) باسمه ليحضره بشخصه و ليقول إنهم يخصون عليا بالإمامة دون غيره.

وعبر بلفظ إمام دون غيره؛ لأن الكلمة تحمل معنى القيم والمصلح والقائد [٢]

ثم جاء رد أهل الشام سريعًا دون مهلة أو تراخ ، والذي دل على ذلك الفاء في قوله (فقلنا)، وقد قيل: "إنّ أجوبة المحاورة والمناظرة إنّما تستحسن وتؤثر إذا جمعت مع الصواب سرعة الحضور؛ فكم من جواب أتى بعد لأى، وورد بعد تقاعس، فلم يكن له في النفوس وقع، ولا حلّ من القلوب محل الحاضر السريع؛ وإن كان المتثاقل أعرق في نسب الإصابة، وآخذ بأطراف الحجّة، ولهذا قيل: أحسن النّاس جوابًا وأحضرهم قريش، ثم العرب، وإنّ الموالي تأتى أجوبتها بعد فكرة ورويّة.

---

(١) التحرير والتنوير ج٧ ص١٠١.

(٢) والمتقدم : إِمامُ كلِّ شَيْءٍ: قَيِّمُهُ والمُصْلِح لَهُ، والقرآنُ إِمامُ المُسلمين، وسَيدُنا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِمام الأَئِمَّة، وَالْخَلِيفَةُ إِمَامُ الرَّعِيَّةِ، وإِمامُ الجُنْد قَائِدُهُمْ... والإِمامُ: المِثالُ... وَفُلَانٌ يَؤُمُّ القومَ: يَقْدُمهم. ينظر: لسان العرب ج١٢ ص٢٥- ٢٦ .

وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدىّ لمعاوية بن أبى سفيان – وقد سأله عن البلاغة– فقال :أن تصيب فلا تخطئ، وتسرع ولا تبطئ، ثم اختصر ذلك فقال: لا تخطئ ولا تبطئ"[١]

وقوله: (رضينا) بعد قولهم: (علي إمام لنا) يوهم بأنهم رضوا بذلك ووافقوا عليه ، وأقروا به، وهذا من التلاعب في الكلام ، فهم لم يقولوا: (لا نرضى بذلك) أو (ونحن معاوية إمام رضينا) .

والتعبير بلفظ الرضا دون غيره في قولهم: (رضينا ابن هند) يدل على أنهم يرونه المطاع والضامن ، وأنه أهل لذلك الأمر ، وقناعتهم التامة به؛ لأن اللفظ يحمل كل تلك المعاني [٢]

و(ابن هند)" يعني معاوية بن أبي سفيان، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف."[٣] وقال: (ابن هند) ولم يقل: (ابن أبي سفيان)؛ لأن هند " كانت فصيحة جريئة، صاحبة رأي وحزم ونفس وأنفة، تقول الشعر الجيد وأكثر ما عرف من شعرها مراثيها لقتلى " بدر " من مشركي قريش، قبل أن تسلم. ووقفت بعد وقعة بدر (في وقعة أحُد) ومعها بعض النسوة، يمثّلن بقتلى المسلمين، ويجدعن آذانهم وأنوفهم، وتجعلها

---

(١) أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ج١ ص٢٧٣ المؤلف: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ – ٤٣٦ هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الناشر: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) الطبعة: الأولى، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.

(٢) الرِّضَا، مقصورٌ: ضدُّ السَّخَطِ ... الرَّضِيُّ المُطيعُ والرَّضِيُّ الضّامِنُ. ورَضِيتُ الشيءَ وارْتَضَيْتُه، فَهُوَ مَرْضِيٌّ... وارْتَضَاه: رَآهُ لَهُ أَهْلًا. ورجلٌ رِضىً مِنْ قَوْمٍ رِضىً: قُنْعانٌ مَرْضِيٌّ . ينظر لسان العرب ج١٣ ص ٢٢٥ : ٢٢٧.

(٣) الكامل ج١ ص ٢٦٠.

هند قلائد وخلاخيل. وترتجز في تحريض المشركين، والنساء من حولها يضربن الدفوف" : نحن بنات طارق " " نمشي على النمارق " " إن تقبلوا نعانق " " أو تدبروا نفارق " " فراق غير وامق " .

ثم كانت ممن أهدر النبي (صلّى الله عليه وسلم) دماءهم، يوم فتح مكة، وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، فجاءته مع بعض النسوة في الأبطح، فأعلنت إسلامها، ورحب بها. وأخذ البيعة عليهنّ، ومن شروطها ألا يسرقن ولا يزنين، فقالت: وهل تزني الحرة أو تسرق يا رسول الله؟ قال: ولا يقتلن أولادهن، فقالت: وهل تركت لنا ولدًا إلا قتلته يوم بدر؟ (وفي رواية: ربيناهم صغارًا وقتلتهم أنت ببدر كبارًا!) وكان لها صنم في بيتها تعبده، فلما أسلمت عادت إليه وجعلت تضربه بالقدوم حتى فلذته، وهي تقول :كنا منك في غرور! ومن كلامها: المرأة غل لابد للعنق منه، فانظر من تضعه في عنقك! ورؤى معها ابنها معاوية، فقيل لها: إن عاش ساد قومه، فقالت: ثكلته إن لم يسد إلا قومه! وكانت لها تجارة في خلافة عمر. وشهدت اليرموك وحرضت على قتال الروم. وأخبارها كثيرة"[1] ولذا آثر الشاعر ذكرها ليقول إننا رضينا ابن تلك المرأة القوية التي ربته على الحزم في اتخاذ القرار ، وأهلته للسيادة فهي لم ترض إلا أن يسود ابنها قومه ..

ثم قال: (رضينا) مرة أخرى ليؤكد على ذلك الرضى ويسجله ، ذلك الرضى الذي جاء عن طيب خاطر فهم ليسوا مجبورين على ذلك .

ثم قال في البيت التالي: (قالوا) أي: أهل العراق أنصار سيدنا (علي) لأهل الشام أنصار سيدنا معاوية: (نرى أن تدينوا له) عبر بلفظ الرؤية؛

(١) الأعلام ج٨ ص٩٨.

لأن الرؤية هِيَ إِدْرَاك المرئي – كما سبق ذكره – فهم يدركون هذا القول جيدًا ويرونه رأي العين بما لا يدع مجالًا للشك .

وقال: (أن تدينوا له) " أي أن تطيعوه وتدخلوا في دينه: أي في طاعته"[1] ، وآثر الشاعر لفظ (تدينوا) دون غيره كـ (تطيعوه) مثلا؛ لأنه يحمل معنى القهر مع الطاعة [2].

فجاء الجواب سريعًا دون مهلة أو تراخ بدليل دخول الفاء على الفعل (فقالوا) في بداية الشطر الثاني مما يدل على أنهم يعرفون ما يريدون فهم لا يحتاجون إلى وقت أو مهلة للتفكير ، وهذا يدل على كامل إرادتهم في اختيار ما يريدون.

وجاء مقول القول مفتتحا بـ (ألا) التي للتنبيه وهذا يناسب المقام؛ لأنه يريد أن يقول: إن أهل العراق بقولهم هذا القول هم في غفلة ، فيجب عليهم أن ينتبهوا وينتبه غيرهم أن أهل الشام وهم أنصار سيدنا معاوية على الحق ، وهذا يجب أن يذاع ويعرفه الجميع.

وقوله: (لا نرى) بنفي الرؤية ليقول أن هذا الأمر لا نراه فهو ليس بالأمر الواضح الجلي كما تعتقدون، والطباق بين (نرى ولا نرى) أكد المعنى ووضح الصورة، ووضح كم بين الفريقين من شقاق وعدم اتفاق ، فهؤلاء يرون وأولئك لا يرون.

وقال: (أن ندينا) ولم يقل: (أن نطيع أو أن نفعل ما تريدون) ليؤكد على نفي ما قالوه بمسماه، فهم لن يدينوا أو يخضعوا مقهورين تحت أي ظرف .

---

(١) الكامل ج١ ص ٢٦٠.

(٢) يُقَالُ: دِنْتُهم فَدَانُوا أي قهَرْتهم فأَطاعوا. لسان العرب ج١٣ ص١٦٧.

وقد أكد على هذا بقوله في البيت التالي: (ومن دون ذلك خرط القتاد)" فهذا مثل من أمثال العرب، القتاد: شجيرة شاكة غليظة أصول الشوك، فلذلك يضرب خرطه مثلًا في الأمر الشديد؛ لأنه غاية الجهد"(١) وقيل: " الخَرْطُ : قَشْرُكَ الوَرَقَ عن الشجرة اجتذابًا بكَفِّك، والقَتَاد: شجر له شوك أمثال الإبر. يضرب للأمر دونه مانع"(٢)

وقد جاء الشاعر بهذا المثل جريًا على ما كانت عليه العرب في ضرب الأمثال في الأمور حتى تتضح وتستبين " إن العرب، بلغت شأوًا لا يدرك في ضرب الأمثال، فسلكوا فيها كلّ مسلك، حتى إنه لم يخل كلام لهم من مثل في تضاعيفه. وكذلك زينوا بالأمثال فنون القول وتصاريفه"(٣)

فقد ضرب ذلك المثل ليقول: إن الدين والولاء لسيدنا علي أمر شديد على أنفسهم لا يستطيعون فعله فهو من المستحيلات .

ثم عطف على هذا المثل قوله: (وضرب وطعن) ليقول: إنهم لن يدخلوا في هذا الأمر وإنهم مستعدون للقتال الدائم الذي لا ينقطع ، وهذا ما عبر عنه المصدر في قوله: (ضرب وطعن) فقد عبر بالمصدر ليؤكد دوامهم على الضرب والطعن باستماتة دون كلل أو ملل.

ولفظ (الضرب) يدل على شدة الارتطام والإيلام (٤)

---

(١) الكامل ج١ ص ٢٦٠.

(٢) مجمع الأمثال ج١ ص٢٦٥.

(٣) أمثال العرب ص٧المؤلف: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ .

(٤) " يقال: ضَرَبَ الجُرْحُ ضَرَبانًا وضَرَبه العِرْق ضَرَبانًا إِذا آلَمَهُ . والضَّارِبُ: المُتَحَرِّك. والمَوْجُ يَضْطَرِبُ أَي: يَضْرِبُ بعضُه بَعْضًا . لسان العرب ج١ ص٥٤٣ .

وعطف على لفظ (الضرب) لفظ (الطعن) فقال: (فضرب وطعن) للتنويع في القتال ، وأيضًا للترقي من الأدنى إلى الأعلى من الضرب إلى الطعن للمبالغة في شدة الإيلام، فهم لن يكتفوا بالضرب ، بل سيطعنون من يخالفهم بالطعنات النافذة التي تستقر في أعماقهم محدثة الألم الشديد الذي يعقبه إزهاق أرواحهم . (١)

ثم وصف الضرب والطعن بقوله: (يقر العيونا) فهم لن يرتضوا إلا القتال الذي يقر أعينهم ،أي يبرد نيرانهم ويجعلهم يستقرون آمنين لا شيء يعكر صفوهم (٢)

وفي رواية (يفض الشؤونا) "فيفض يفرق، تقول :فضضت عليه المال. والشؤون، واحدها شأن، وهي مواصل قبائل الرأس، وذلك أن للرأس أربع قبائل، أي: قطع مشعوبٌ بعضها إلى بعض، فموضع شعبها يقال له :الشؤون، واحدها شأنٌ، وزعم الأصمعي قال: يقال إن مجاري الدموع منها، فلذلك يقال استهلت شؤونه"(٣) أي: أنهم لن يرتضوا إلا فصل رؤسهم عن أعناقهم.

---

(١) يقال: "طَعَنه بالرُّمْحِ يَطْعُنه ويَطْعَنُه طَعْنًا، فَهُوَ مَطْعُون وطَعِينٌ، مِنْ قَوْمٍ طُعْنٍ: وخَزَه بحربة... وطَعَنَ فِي الْمَفَازَةِ وَنَحْوِهَا يَطْعُن: مَضَى فِيهَا وأَمْعَنَ، وَقِيلَ: ويَطْعَنُ أَيضًا ذَهَبَ وَمَضى ... الطَّعْنُ الدخولُ فِي الشيء ... الطَّعْنُ: الْقَتْلُ بِالرِّمَاحِ . ينظر: لسان العرب ج١٣ ص ٢٢٥ : ٢٢٧.

(٢) القَرُّ: الْيَوْمُ الْبَارِدُ . وكلُّ باردٍ : قَرٌّ... وَفُلَانٌ مَا يَتَقارُّ فِي مَكَانِهِ أَي مَا يَسْتَقِرُّ... وَفُلَانٌ قارٌّ :ساكنٌ . ينظر: لسان العرب ج٥ من ص٨٢: ٨٤.

(٣) الكامل ج١ ص ٢٦٠.

وقد عبر الشاعر بالأفعال المضارعة (نرى ، تدينوا، لا نرى ، نـدينا، يقر أو يفض)" وكأن الأفعال المضارعة في الكلام الحر مرايـا تعكـس لـك الصورة والأحداث فلا تسمعها بأذنك فقط ، وإنما تراها بعينك "[١]

وهذا القول الذي قيل فيه من الشدة والعنف مـا لا يقبـل" وقـد قـال العلماء: أربعةٌ لا ينبغي أن تكون في الملوك: الغضب فإنه أجد الأشياء مقتًا؛ والبخل فإن صاحبه ليس بمعذورٍ مع ذات يده؛ والكذب فإنه لـيس لأحـدٍ أن يجاوره؛ والعنف في المحاورة "[٢]

والحق أن هذه الأربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك ولا في غيرهم ؛ فهي صفات ممقوتة ، لا يرتضيها ذو العقل على نفسه ولا علـى غيـره ، واستشهاد سيدنا معاوية بهذه الأبيات يدل على أنه قنع بها وارتضـى هـذا العنف في المحاورة .

وهذه الأبيات أتى بها ليؤكد نفي المشابهة بين أنصاره(أهل الشـام) ، وأنصار سيدنا علي (أهل العراق)، فهو يزيد المغالطة تأكيدًا .

ولكن سيدنا علي أراد أن يصوب له هذه المغالطة فـرد عليـه الـرد الحازم القاطع الصادر من رجل ذي عقلية لا تميل إلى المراوغـة ولا إلـى سرد الأباطيل فقال: (وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة، فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سواءٌ؛ لأنها بيعةٌ شاملة، لا يستثنى فيها الخيار، ولا يستأنف فيها النظر).

---

(١) قراءة في الأدب القديم ص ٣٢ د/ محمد محمـد أبـو موسـى ــ ط٣ ــ مكتبـة وهبـة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٢) كليلة ودمنة ص ٣٠المؤلف: عبد الله بن المقفع (المتوفى: ١٤٢ هـ) (ترجمـة لكتـاب الفيلسوف الهندي بيدبا) الناشر: المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة الطبعة: السابعة عشرة ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م .

فقد جاء تصويب المغالطة بهذا القياس التمثيلي الذي يؤكد فيه سيدنا عليّ على إثبات المشابهة بين سيدنا معاوية وطلحة والزبير ، وكذلك بين أهل الشام وأهل العراق فكلهم متساوون في الأمر؛ لأن البيعة عامة لا يفضل فيها أحد على أحد أو جماعة على أخرى ، ولا يستثنى منها أحد، فهؤلاء كأولئك .

وقد ساعد البناء التركيبي لأسلوب تصحيح المغالطة على الإحاطة بجميع جوانب القول السابق ليقنع الخصم ويثبت الفكرة ومن ذلك :

أن سيدنا علي بدأ كلامه بـ (أما) التفصيلية ليلفت النظر إلى أهمية الكلام الذي يأتي بعدها " لِأَنَّ مَوْقِعَ) أَمَّا) لَا يَخْلُو عَنِ اهْتِمَامٍ بِالْكَلَامِ اهْتِمَامًا يَرْتَكِزُ فِي بَعْضِ أَجْزَاءِ الْكَلَامِ، فَاجْتِلَابُ)أَمَّا(فِي الْكَلَامِ أَثَرٌ لِلِاهْتِمَامِ"[١]

"والجمهور يقدرون أما بمهما يكن من شيء... فإذا قلت :أما زيد فمنطلق، فالتقدير: مهما يكن من شيء فزيد منطلق. فحذف فعل الشرط وأداته، وأقيمت أما مقامهما"[٢]

ثم أراد أن يبين كم كان سيدنا معاوية يضع نفسه في ناحية ويضع الآخرين في ناحية أخرى ويعزل نفسه، ويفرق بينها وبين غيره ، وكأنه لا يشبه كل هؤلاء ، فعبر بلفظ (تمييزك) دون غيره؛ لأن اللفظ يحمل كل تلك المعاني . [٣]

---

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص١٠١.

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ص ٥٢٢ المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) المحقق: د فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

(٣) المَيْزُ: التَّمْيِيزُ بَيْنَ الأَشياء... ومِزْتُ الشيءَ أَمِيزُه مَيْزًا: عَزَلْتُهُ وفَرَزْتُه... وتَمَيَّزَ القومُ وامْتازوا: صَارُوا فِي نَاحِيَةٍ... يُقَالُ: مِزْتُ الشيءَ مِنَ الشيءِ إِذا فَرَّقْتَ بَيْنَهُمَا . ينظر: لسان العرب ج٥ ص ١١٢-١١٣.

ثم قال: (بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة)؛ لأن سيدنا معاوية أراد أن يضع نفسه في مكانة ، ويضع (طلحة والزبير) في مكانة أخرى ، وكذلك يضع (أهل الشام) في مكانة و(أهل العراق) في مكانة أخرى ، ولذا نفى المشابهة في قوله السابق ، فأراد سيدنا علي أن يوضح له مغالطته، وأن هذا القول قائم على سرد الأباطيل، ولذا جاء جواب (أما) ملزمًا له ضد مغالطته فقال: (فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سواءٌ) " وَلَمَّا كَانَتْ (أَمَّا) بِمَعْنَى: وَمَهْمَا يَكُنْ شَيْءٌ، قُرِنَ جَوَابُهَا بِالْفَاءِ"[1] وللمرة الثانية يحلف سيدنا علي بحياته فقال: (لعمري) وذلك ليشاكل كلامه كلام سيدنا معاوية الذي بدأه بالحلف بحياته أيضًا .

ثم قال: (ما الأمر فيما هناك إلا سواءٌ) فقد أراد سيدنا علي أن يؤكد على مساواة الجميع وأنهم كلهم في كفة واحدة؛ فأتى بأسلوب القصر الذي طريقه النفي والاستثناء ، وهذا الأسلوب لا يأتي إلا في الأمور التي ينكرها المخاطب؛ لأنه يعرف جيدًا أن سيدنا معاوية لا يعترف بذلك ويصر على إنكاره.

وقوله: (الأمر) إبهام للتهويل من شأن البيعة ، وعبر بالاسم الموصول في قوله: (فيما هناك) لتأكيد التهويل أيضًا ،وأتى باسم الإشارة (هناك) ليميز الأمر أكمل تمييز بواسطة الإشارة الحسية ، وكانت للبعيد للإشارة إلى بعد مكانة هذه البيعة، وأنها لا ينبغي أن يتكلم فيها إلا من لديه وعي تام أنها بيعة عامة يتساوى فيها الجميع.

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص ١٠١.

وقال: (سواء) ولم يقل: (الأمر واحد) مثلًا؛ ليؤكد على إثبات المشابهة والمماثلة بين الجميع ، وعدم تفضيل أحد على أحد فهذا هو العدل والنصفة . (١)

ثم علل لقوله هذا بقوله: (لأنها بيعةٌ شاملة) فقد أتى بالتعليل في محاولة منه لإقناع خصمه وإفحامه، وقد جاء التعليل بـ (لأن)؛ لأنها – كما سبق القول – تستخدم لتبرير الفعل ، فسيدنا علي عندما ساوى بين الجميع في أمر البيعة ، كان يعلم جيدًا أن مخاطبه منكر لذلك القول ، ولن يقنع به، فكان لا بد أن يأتي بعلة مناسبة تبرر قوله ، فقال: (لأنها بيعة شاملة) وعبر بلفظ (شاملة) دون غيره ليؤكد المشابهة ويقول: إن هذه البيعة غشيتهم جميعًا وعمتهم وأحاطت بهم ، فلا يخرج منها أحد . (٢)

وهذا بالضبط ما أراد سيدنا علي إيصاله للمخاطب ، ولم يكتف بذلك بل قال بعدها ليؤكد العموم والشمول ، وأيضا ليوضحه: (لا يستثنى فيها الخيار، ولا يستأنف فيها النظر) ، وبقوله: (لا يستثنى) هو ينفي أي خروج عن البيعة، أو انصراف عنها ، أو هروب منها؛ لأن كلمة (يستثنى) تحمل كل هذه المعاني؛ ولذا آثر سيدنا علي التعبير بها دون غيرها؛ لأنه يقال: " ثَنَيْت الشَّيْءَ ثَنْيًا: عَطَفْتُهُ. وثَنَاه أَي كَفَّه... وثَنَيْته أَيضًا: صَرَفته عَنْ حَاجَتِهِ ...

---

(١) يُقَالُ: سَاوَى الشيءُ الشيءَ إِذَا عادَلَه. وساوَيْتُ بينَ الشَّيْئَيْنِ إِذَا عَدَلْتَ بينهما وسَوَّيْت. وَيُقَالُ: فلانٌ وَفُلَانٌ سَوَاءٌ أَي: مُتَساويان... وَهُمْ أَسْوَاءٌ، وَهُمْ سَوَاسِيَةٌ أَي أَشباهٌ ... والسَّوِيَّةُ والسَّوَاءُ: العَدْل والنَّصَفَة . ينظر: لسان العرب ج١٤ ص١١٠ – ١١٢.

(٢) لأنه يقال: شَمِلَهم أَمْرٌ أَي غَشِيَهم. واشْتَمَلَ بِثَوْبِهِ إِذا تَلَفَّف. وشَمَلَهم الأَمر يَشْمُلُهم شَمْلًا وشُمُولًا وشَمِلَهم يَشْمَلُهم شَمَلًا وشَمْلًا وشُمُولًا : عَمَّهم... والمِشْمَل: ثَوْبٌ يُشْتَمَل بِهِ. واشْتَمَلَ بِالثَّوْبِ إِذا أَداره عَلَى جَسَدِهِ كُلِّه حَتَّى لَا تَخْرُجَ مِنْهُ يَدُه. واشْتَمَلَ عَلَيْهِ الأَمْرُ: أَحاط بِهِ. ينظر: لسان العرب ج ١١ ص ٣٦٧ – ٣٦٨ .

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [١] أَي يُسِرُّونَ عَدَاوَةَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يُجنُّون ويَطْوُون مَا فِيهَا وَيَسْتُرُونَهُ اسْتِخْفَاءً مِنَ اللَّهِ بِذَلِكَ"[٢] "وإن كان المشهور أنَّ معناه – أي الاستثناء – في اللغة هو الإخراج"[٣]

وقال: (الخيار) ليوضح أنه لا يخرج من هذه البيعة أحد على الإطلاق لا كريم و لا شريف ولا أصيل ولا غيرهم ، بل يدخل فيها الجميع . [٤]

وقال: (ولا يستأنف فيها النظر) مكررًا النفي ليؤكد على نفي أي شيء سوى الدخول في البيعة.

وقال: (يستأنف)؛ ليوضح أن البيعة تمت بالفعل فلا يبدأ فيها بالنظر مرة أخرى؛ لأن " أَنْفُ الشَّيْءِ :أَوّله ومُسْتَأْنَفُه... والاسْتِئْنافُ :الِابْتِدَاءُ"[٥] إذ كيف يبدأ في أمر قد تم وحسم وانتهى؟.

وبذلك استطاع سيدنا علي أن يصوب المغالطة التي أتى بها سيدنا معاوية والتي حاول فيها نفي المشابهة ، ولكن سيدنا علي أثبت المشابهة وأكدها .

ولكنه أيضا لم يتمثل بالشعر كما فعل معاوية وكأنه يريد أن يبين أن كلامه لا يحتاج إلى تمثل بشعر أو غيره لأنه من المسلمات الي لا تحتاج إلى توكيد أو تدليل وهذا أقوى في الرد على المغالطة....

---

(١) هود من الآية ٥.

(٢) ينظر لسان العرب ج١٤ ص١١٥ – ١١٦ .

(٣) ينظر فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية ج١ ص ٥٥٣ – ٥٥٤ ــ المؤلف: أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي ــ الناشر: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة ــ الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

(٤) الخِيرُ، بِالْكَسْرِ: الكَرَمُ. والخِيرُ: الشَّرَفُ؛ عَنِ ابْنِ الأَعرابي. والخِيرُ: الْهَيْئَةُ. والخِيرُ: الأَصل. لسان العرب ج٤ ص ٢٦٧.

(٥) ينظر: لسان العرب ج٩ ص١٥.

المبحث الرابع

علاقة الوصف بين المغالطة وتصويبها

الوصف :وَصَفَ الشيءَ لَهُ وَعَلَيْهِ وَصْفًا وصِفَةً: حَلَّاه، وَالْهَاءُ عِوَضٌ مِنَ الْوَاوِ، وَقِيلَ: الوَصْف الْمَصْدَرُ والصِّفَةُ الحِلْيَة،... والصِّفَة: كَالعِلْمِ وَالسَّوَادِ. قَالَ: وأَما النَّحْوِيُّونَ فَلَيْسَ يُرِيدُونَ بِالصِّفَةِ هَذَا؛ لأَن الصِّفَةَ عِنْدَهُمْ هِيَ النَّعْتُ، وَالنَّعْتُ هُوَ اسْمُ الْفَاعِلِ نَحْوُ ضَارِبٍ، وَالْمَفْعُولِ نَحْوُ مَضْرُوبٍ وَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمَا مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى نَحْوُ مِثْلٍ وَشِبْهٍ، وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ، يَقُولُونَ: رأَيت أَخاك الظَّرِيفَ، فالأَخ هُوَ الْمَوْصُوفُ، وَالظَّرِيفُ هُوَ الصِّفَةُ، فَلِهَذَا قَالُوا لَا يَجُوزُ أَن يُضَافَ الشَّيْءُ إِلَى صِفَتِهِ كَمَا لَا يَجُوزُ أَن يُضَافَ إِلَى نَفْسِهِ؛ لأَن الصِّفَة هِيَ الْمَوْصُوفُ عِنْدَهُمْ، أَلا تَرَى أَن الظريف هو الأَخ؟ (١)

وعند النقاد : إخبار عن حقيقة الشيء أو " ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات.(٢)

والمراد بالصفة عند البلاغيين: هي الصفة المعنوية، وهو ما يقابل النقديين .

وفرق ابن رشيق بين الوصف والتشبيه فرأى أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء، وأن ذلك مجاز وتمثيل... وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع... والوصف البليغ يكشف للسامع الموصوف كأنه يراه، قال بعض المتأخرين: أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرًا. وأصل

(١) ينظر: لسان العرب ج٩ ص ٣٥٦ – ٣٥٧.

(٢) نقد الشعر ص١٣٠ لأبي الفرج قدامة بن جعفر تحقيق وتعليق د. عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان.

الوصف الكشف والإظهار، يقال: قد وصف الثوب الجسم، إذا نم عليه ولم يستره،... والناس يتفاضلون في الأوصاف، كما يتفاضلون في سائر الأصناف: فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها وإن غلبت عليه الإجادة في بعضها.(١)

وقد لجأ سيدنا معاوية إلى الوصف ليبني عليه مغالطته فقال في رسالته مخاطبًا سيدنا علي: (وأما شرفك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وموضعك من قريش فلست أدفعه)

فقد وصف سيدنا علي بعدة أوصاف وهي: شرفه في الإسلام، وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعه من قريش، فهذه الأوصاف حقيقة وواقع، ولكن المغالطة أنه لم يجعل هذه الصفات سببًا للتقديم للخلافة وأحقيته بها ، فقد أثبت الوصف ولكنه لم يثبت لازمه، فمع اعترافه بهذه الأوصاف التي لا يستطيع دفعها أو انكارها، لم يعترف بلازم الوصف، فكأنه يقول له كل هذه الصفات لا تؤهلك للخلافة ، وكفى بذلك باطلًا وتلفيقًا.

وقد بدأ كلامه بـ (أما) التفصيلية ليلفت نظر المتلقي إلى أهمية الكلام التي يأتي بعدها، فهو سوف يفصل صفات سيدنا علي، ويخبر عن حقيقته الواضحة التي لا تنكر، لا ليعترف بخطئه، بل ليستمر في مغالطته.

وقد جاءت هذه الصفات في ثوب الاسمية (شرفك ، قرابتك ، موضعك)؛ ليؤكد على أنها راسخة ثابتة دائمة لا تتغير أبدًا.

(١) ينظر العمدة ج٢ ص٢٩٥.

وعبر بلفظ (شرفك)؛ ليدل عل علو منزلته وعلو منزلة آبائه وأجداده وعظمتهم، وعراقة مجدهم. [١]

وعبر بحرف الجر (في) في قوله: (وأما شرفك في الإسلام) ليدل على تغلغل هذا الشرف في الإسلام وتعمقه فيه.

وجعل هذا الشرف في الإسلام؛ ليدل على منزلته العظيمة في الإسلام، وأن الإسلام عز به وشرف، كما شرف به المسلمون.

وقال: (قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليبين مكانته العظيمة التي لا تضاهيها مكانة، والتي لا يطاولها شرف.

وقال: (وموضعك من قريش) ليدل على ثباته في مكانته؛ لأنه يقال: " وَضَعَ الشيءَ فِي المكانِ: أَثْبَتَه فِيهِ"[٢] فمكانته التي وضع فيها لا يستطيع أحد أن يزحزحه عنها.

ثم قال: (فلست أدفعه) أي: لا أستطيع رد هذه الصفات ولا إزالتها على وجه التجدد والاستمرار والذي دل على ذلك التعبير بالفعل المضارع (أدفعه) فهو لن يستطيع رد هذه الصفات الآن أو في المستقبل؛ لأنها صفات ثابتة دائمة، وكيف يستطيع ذلك وسيدنا علي هو من هو بثقله ووزنه في الإسلام وفي قريش فهو "أحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلامًا بعد خديجة. ولد بمكة، وربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم

---

(١) الشَّرَفُ: الحَسَبُ بِالْآبَاءِ، شَرُفَ يَشْرُفُ شَرَفًا وشُرْفَةً وشَرْفَةً وشَرَافَةً، فَهُوَ شَرِيفٌ، وَالْجَمْعُ أَشْرَافٌ . والشَّرَفُ والمَجْدُ لَا يكونانِ إِلَّا بِالْآبَاءِ. ويُقَالُ: رَجُلٌ شريفٌ وَرَجُلٌ ماجدٌ لَهُ آباءٌ متقدِّمون فِي الشرَف. ... وكُلُّ مَا فَضَلَ عَلَى شَيْءٍ، فَقَدْ شَرَفَ ... والشُّرْفَةُ: أَعلى الشَّيْءِ. والشَّرَفُ: كالشُّرْفَةِ، وَالْجَمْعُ أَشْرَافٌ . ينظر لسان العرب ج٩ ص ١٦٩ – ١٧٠.

(٢) لسان العرب ج٨ ص ٩٩.

يفارقه... ولما آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه قال لـــه : أنت أخي وأي شرف ومكانة بعد ذلك."[١] ومع ذلك فسيدنا معاوية مستمر في مغالطته، فهو يعرض شاهدا ومثالا واقعيا ويقدم حجة سليمة، حتى يسلم له المتلقي في رأيه واعتقاده، ولكنه بعد ذلك يقلب الحقائق ويحيلها إلى أباطيل وأكاذيب.

ثم يأتي رد سيدنا عليّ على كلام سيدنا معاوية ذلك الرد الصادر عـــن رجل ذي عقل واع وفكر مستنير فيقول: (وأما شرفي في الإسلام، وقرابتـــي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموضعي من قـــريش، فلعمـــري لـــو استطعت دفعه لدفعته).

فقد كلمه بكلامه ونقل إليه الصفات التي وصفه بها مرة أخرى بادئًـــا كلامه بـــ (أما) التفصيلية أيضًا ليلفت انتباه مخاطبه إلى أهمية كلامه، فعدد نفس الصفات (شرفه في الإسلام، وقرابته من رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم ، وموضعه من قريش) ولكن هذه المرة ذكرها ليثبتها، نعم ليثبت تلك الصفات ويجعلها أشد التصاقًا به، ليجعل مخاطبه كما اعترف بهذه الصـــفات عليه أن يعترف بلازمها وهو أحقيته بالخلافة ، فهذه الصفات قلما تجتمـــع في شخص واحد، فإذا وجد هذا الشخص الذي تجتمع فيه هذه الصفات كـــان حقيقًا بالخلافة دون غيره، فعلام هذه المغالطة؟

ثم أتى جواب (أما) فقال: (فلعمري لو استطعت دفعـــه لدفعتـــه) فهـــو يحلف بحياته للمرة الثالثة ليؤكد كلامه ويثبته.

(١) الأعلام ج٤ ص ٢٩٥.

ثم يأتي بهذا الشرط الذي صدره بـــ (لـو) الشـرطية؛ لاسـتبعاد الاستطاعة وصعوبتها، فهو مهما فعل لن يستطيع دفع هذه الصفات " لأن لو بحسب وضعها حرف امتناع لامتناع"[١]

وعبر بالفعل (استطعت)؛ لأن" الاستطاعةُ: الْقُدْرَةُ عَلَى الشَّيْءِ، وَقِيـلَ: هِيَ اسْتِفْعَالٌ مِنَ الطَّاعَةِ"[٢] فهو ليس عنده تلك القدرة .

وعبر بالمصدر (دفعها) للتأكيد، وعبر بلفظ الدفع دون غيره؛ ليقول لو استطاع إزالتها بقوة وشدة لفعل ذلك؛ لأنه كان يتمنى لو لم تكن تلك الصفات موجودة، بدليل تكرار قول سيدنا علي للفظة الدفع في قوله: (لدفعتها) وكان يمكن أن يقول: (لو استطعت دفعها لفعلت) ولكنه آثر تكرار هذا اللفظ ليؤكد رغبة سيدنا معاوية في دفع هذه الصفات وإزالتها بقوة.

وأكد الفعل (لدفعتها) باللام أي: لأزلتها إزالة محققة مؤكدة، ولكن هذا ممتنع لامتناع تحقق الاستطاعة، كأنه يقول له: مـا دمـت تعتـرف بهـذه الصفات، ولم تستطع إزالتها بأي وجه من الوجوه، فمن باب أولـى يجـب عليك إثبات لازم هذه الصفات وهو أحقيتي في الخلافة.

ولكن سيدنا معاوية لم يعترف أبدًا بأحقية سيدنا علي بالخلافة، وظـل يعاند ويغالط ، ليسلب سيدنا عليّ حقه، فمعروف أن سيدنا معاوية لا يمكـن لأحد مجاراته في دهائه و مكره فهو" أحد دهاة العرب المتميزين الكبـار....

---

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني ج٢ ص٢٤١ لسعد الدين التفتازاني المتـوفى ٧٩٢ المؤلف محمد بن عرفة الدسوقي ــ تحقيق عبد الحميد هنداوي ــ الناشر المكتبة العصرية بيروت.

(٢) لسان العرب ج٨ ص٢٤١.

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إذا نظر إليه يقول: هذا كسرى العرب"[١]

وطمعه في الخلافة كان واضحًا فقد " روي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :ما زلت أطمع فِي الخلافة مذ قَالَ لي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ":إن وليت فأحسن[٢]".

ولكن سيدنا علي كان يعرف ذلك فدرس الموقف جيدًا وتهيأ له، ومن هنا استطاع أن يفند أقوال سيدنا معاوية ويصوب أغاليطه عن طريق تلك المبارزة الكلامية التي استطاع من خلالها مواجهة خصمه ومجابهته بأشد العبارات وأقواها ليثبت له عكس كلامه، فأفحمه وأعجزه عن الرد.

(١) ينظر: الأعلام ج٧ ص ٢٦٠ – ٢٦١.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٥ ص ٢٠١ المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ـ الناشر: دار الكتب العلمية ـ الطبعة: الأولى ـ سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

الخـــاتمة

الحمد لله الكريم الغفار ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم النبي المختار، وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار.

وبعد :

فهذه الدراسة ظهرت في نهايتها بعض النتائج التـــي توصـــلت إليهـــا وهي:

أولا: أثبت البحث اختلاف أسس التناسب بين الرسالتين عنه داخل كل رسالة على حدة:

١- التناسب بين أجزاء الرسالتين قائم على :

أ- التضاد ؛ إذ إن الثانية منهما رد وإفحام لما في الأولى مـــن مغالطـــات، فاطرد فيها أسلوب العكس في الخطاب.

ب- الاستدراج لإبلاغ الحجة؛ حيث عنيتا بالمقدمات البدهية التـــي لا تنكـــر للخروج منها إلى الأحكام الرئيسة.

ج- استقصاء الحجة وجمع أطرافها في الرسالتين.

٢- التناسب بين أجزاء كل رسالة على حدة:

حيث بنيت على نظرية العلاقات بين أجزاء الكلم... فجـــاءت علاقـــات متنوعة بين منطقية محضة كالمذهب الكلامي، وبلاغية محضة وهي أكثرها.

ثانيًا: دقة الكلمة وأثرها في بناء المعاني داخل الـــرابط اللفظـــي لكـــل علاقة، فكانت الكلمة مختارة بعناية لا تقوم غيرها مقامها.

ثالثًا: أثبت البحث تأسيس الروابط الحجاجية في الرسالتين على أصول بلاغية وفق مقتضيات التراث البلاغي ... ومن ثم صلاحية بلاغتنا العربيـــة لتأسيس نظرية حجاجية عربية تقوم على الحجة البلاغية.

رابعًا: سمو الخطاب في الصدر الأول عقلًا وأدبًا في ذروة الاختلاف السياسي، وهذا سمت عال في الخطاب الإسلامي .. فالاعتراف بالفضل والسبق والصفات ظاهر، كما أن إفحام الخصم وإبراز مغالطاته قائم على السمو في الألفاظ والمعاني، فليس هناك بذاءات في الخطاب، وهو ما نحتاج إليه اليوم.

التوصيات :

أولًا: تتابع النظر في الرسائل التي بين الخصوم في تلك المرحلة للاستفادة منها في نهج خطاب يتسم بالسمو والعفة.

ثانيًا: إبراز قوة العقل العربي في مقارعة الحجة بالحجة، وأثر الأساليب البلاغية في ذلك عن طريق الكشف عن الأساليب البلاغية في الرسائل المتبادلة.

ثالثًا: العمل على مشروع علمي يستقصي فيه الباحثون رسائل الحروب لإبراز أثر الفكر في قيامها أو إخمادها.

فهرس المصادر والمراجع:

١. أساس البلاغة: المؤلف أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٢. أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي: تأليف الشيخ طه عبد الله محمد السبعاوي ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان.

٣. الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: المؤلف د/ صباح دراز ـ مطبعة الأمانة ـ ط٦ ـ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦ م.

٤. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: المؤلف عبد الهادي بن ظافر الشهري ١٣٨٥-١٩٦٥ ، الناشر دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ – ٢٠٠٤م.

٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة: المؤلف أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية ـ الطبعة: الأولى ـ سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

٦. الأعلام: المؤلف خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين ـ الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٧. أمالي ابن الشجري: المؤلف ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: الدكتور محمود محمد الطناحي ـ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م.

٨. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): المؤلف الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الناشر: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
٩. أمثال العرب: المؤلف المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.
١٠. الإيضاح في علوم البلاغة: المؤلف محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ـ الناشر: دار الجيل - بيروت الطبعة: الثالثة.
١١. البديع في البديع: المؤلف أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ) الناشر: دار الجيل ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٢. البرهان في وجوه البيان (نشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر): المؤلف أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب المحقق: د. حفني محمد شرف ـ الناشر: مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة ـ عام النشر: ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م.
١٣. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: المؤلف عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب ـ الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٤. تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي: المؤلف أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المعارف.

١٥. التبيان في إعراب القرآن: المؤلف أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) المحقق : علي محمد البجاوي ـ الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٦. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: المؤلف عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف ـ الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.
١٧. التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: المؤلف محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
١٨. التذكرة الحمدونية: المؤلف محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ) الناشر: دار صادر، بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.
١٩. التعريفات: المؤلف علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر . الناشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٢٠. الجنى الداني في حروف المعاني: المؤلف أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) المحقق: د فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٢١. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب : المؤلف أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين ــ الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت.
٢٢. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني المتوفى ٧٩٢ المؤلف محمد بن عرفة الدسوقي ــ تحقيق عبد الحميد هنداوي ــ الناشر المكتبة العصرية بيروت.
٢٣. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: المؤلف عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون ــ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ــ الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٤. الدر الفريد وبيت القصيد: المؤلف محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ) المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري ــ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ــ الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
٢٥. دلائل الإعجاز: المؤلف أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر ــ الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ــ الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٦. ديوان عبيد بن الأبرص شرح أشرف أحمد عدرة - الناشر دار الكتاب العربي - بيروت -لبنان -الطبعة الأولى ١٤١٤ ١٩٩٤
٢٧. الرسائل السياسية: المؤلف عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ــ الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت.
٢٨. سير أعلام النبلاء: المؤلف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٩. السنن الكبرى: المؤلف أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي ـ أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ـ قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: المؤلف عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) ـ حققه: محمود الأرناؤوط ـ خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ـ الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٣١. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: المؤلف أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٢. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: المؤلف يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ) ـ الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٣٣. علم البيان: المؤلف عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) ـ الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ـ الطبعة: بدون ـ عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٢ م.
٣٤. العمدة في محاسن الشعر وآدابه: المؤلف أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ـ الناشر: دار الجيل ـ الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٣٥. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم : المؤلف القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) ـ قدم له وعلق عليه:

محب الدين الخطيب رحمه الله ــ الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٦. غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة: المؤلف أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ) ــ ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين ــ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ــ الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣٧. فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي) المؤلف (مؤلف الشرح): أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي ــ الناشر: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة ــ الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٣٨. الفروق اللغوية: المؤلف أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ــ حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ــ الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

٣٩. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: المؤلف أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ) ــ المحقق: إحسان عباس ــ الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ــ الطبعة: الأولى، ١٩٧١.

٤٠. فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه: المؤلف محمد صالح الشنطي ــ الناشر: دار الأندلس للنشر والتوزيع - السعودية / حائل ــ الطبعة: الخامسة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤١. في الميزان الجديد: المؤلف محمد مندور (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ــ الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: يناير ٢٠٠٤م.

٤٢. القاموس المحيط: المؤلف العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ ـ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ـ الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ـ الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٤٣. قراءة في الأدب القديم: د/ محمد محمد أبو موسى ـ ط٣ ـ مكتبة وهبة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
٤٤. قضايا الشعر المعاصر: تأليف نازك صادق الملائكة (توفيت: ١٤٢٨هـ) ـ الناشر: دار العلم للملايين، ١٠٨٥- بيروت – لبنان الطبعة: الخامسة.
٤٥. الكامل في اللغة والأدب: المؤلف محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) ـ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ـ الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٤٦. كتاب الصناعتين: المؤلف أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ـ المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ـ عام النشر١٤١٩هـ.
٤٧. كليلة ودمنة: المؤلف عبد الله بن المقفع (المتوفى: ١٤٢ هـ) (ترجمة لكتاب الفيلسوف الهندي بيدبا) ـ الناشر: المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة، ١٩٣٧ ـ الطبعة: السابعة عشرة ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م.
٤٨. لسان العرب: المؤلف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ـ الناشر : دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.
٤٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: المؤلف نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) ـ المحقق: محمد

محي الدين عبد الحميد ــ الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ــ عام النشر: ١٤٢٠ هـ.

٥٠. مجمع الأمثال: المؤلف أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ــ الناشر: دار المعرفة – بيروت، لبنان.

٥١. معاني النحو: المؤلف د. فاضل صالح السامرائي ــ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن ــ الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ــ – ٢٠٠٠ م.

٥٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): المؤلف عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ــ دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ــ الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٥٣. معجم اللغة العربية المعاصرة: المؤلف د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر

٥٤. مفتاح العلوم: المؤلف يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ــ ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ــ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ــ الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧.

٥٥. منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي حازم القرطاجني توفى (٦٨٤هـ) ــ تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان.

٥٦. النظرات: المؤلف مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المَنْفَلُوطي (المتوفى: ١٣٤٣هـ) ــ الناشر: دار الآفاق الجديدة ــ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٥٧. نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ــ تحقيق وتعليق د. عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٥٤٧
٢-	Abstract	٢٥٤٨
٣-	المقدمة:	٢٥٤٩
٤-	التمهيد	٢٥٥٣
٥-	المبحث الأول: علاقتا المذهب الكلامي والأسلوب الحكيم بين المغالطة وتصويبها	٢٥٦٣
٦-	المبحث الثاني: علاقة الإسناد بين المغالطة وتصويبها	٢٥٨٦
٧-	المبحث الثالث :علاقة القياس التمثيلي بين المغالطة وتصويبها	٢٦٠٢
٨-	المبحث الرابع: علاقة الوصف بين المغالطة وتصويبها	٢٦٢٢
٩-	الخاتمة	٢٦٢٨
١٠-	فهرس المصادر والمراجع:	٢٦٣٠
١١-	فهرس الموضوعات	٢٦٣٨